TAS_8M ص 1/51

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص : دراسات مقارنة بين الآداب والحضارة

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ :

أثر الاستشراق في الشعر الجاهلي

(طه حسين أنموذجا)

من إعداد :

خضرة لعطاب

تحت إشراف:

أ.د: عبد الرحمن فارسي

السنة الجامعية: 2011- 2012 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص : دراسات مقارنة بين الآداب والحضارة

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ :

أثر الاستشراق في الشعر الجاهلي

(طه حسين أنموذجا)

من إعداد :

خضرة لعطاب

تحت إشراف:

أ.د: عبد الرحمن فارسي

السنة الجامعية: 2011- 2012 م

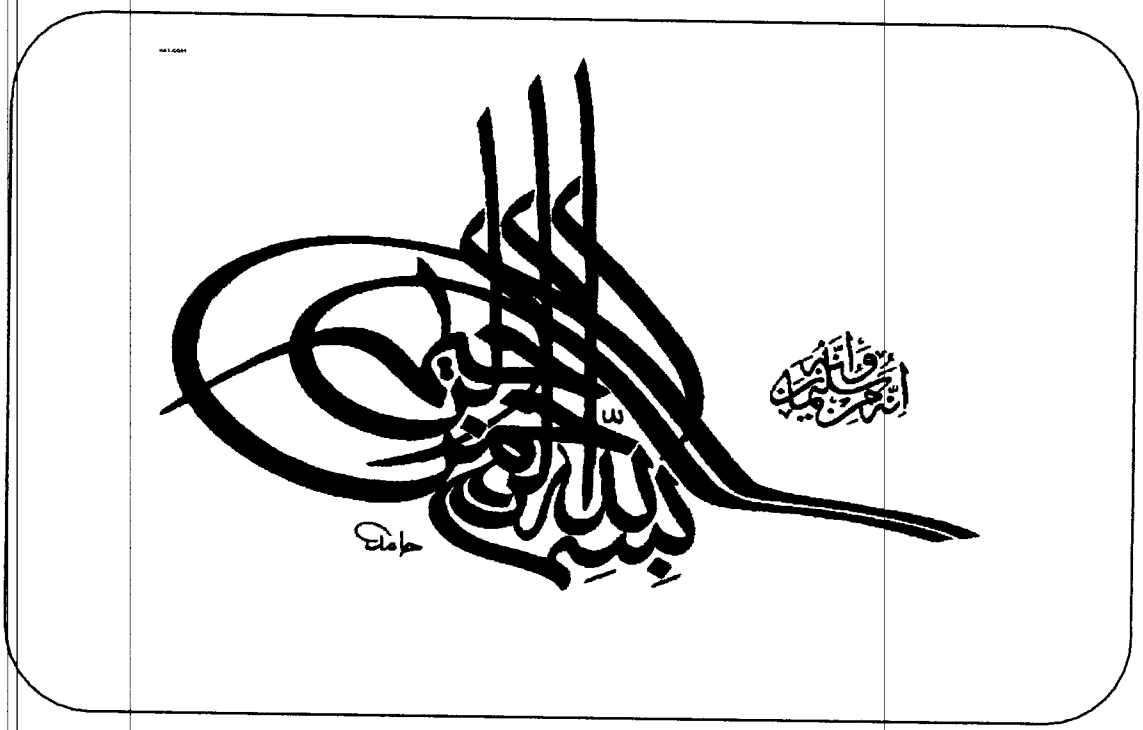
بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من سليمان وإنه

" يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ
وَالذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"
سورة المجادلة الآية 11

دعـاء

✦ يا رب علمني أن أحب الناس كما أحب نفسي وعلمني أن أحاسب نفسي كما أحاسب الناس.

وعلمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة

✦ يا رب لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس إذا أخفقت بل دائما ذكرني أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح.

✦ يا رب إذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ تواضعي. فإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي.

✦ وإذا أسأت إلى الناس فامنحني شجاعة العفو.

– آمين –

شكر وعرفان

"قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"

سورة النمل الآية [illegible]

إن خير فاتحة أفتتح بها رسالتي هذه هي الحمد [illegible] الذي علم بالقلم وفاتح الخير الذي أعز عباده وأكرمهم بعلمه الوافر.

أشكره تعالى على نعمته التي لا تنتهي وأحمده على ما منحني من التوفيق والسداد وعلى ما منحني من الرشد والثبات وعلى ما منحته لي على إنهاء هذا العمل المتواضع.

فلله الحمد حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على خير المرسلين رحمة الخلق محمد الأمين "صلى الله عليه وسلم".

وإذا كان من فضل الشكر شكر ذويه فإنني أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الصادق للأستاذ الدكتور فارسي عبد الرحمن على توجيهاته الصائبة ونصائحه القيمة.

كما أشكر اللجنة المناقشة تجشمهم عناء قراءة رسالتي هذه لتقويمها وإثرائها بنقدهم البناء وتوجيهاتهم العلمية القيمة

ولله الحمد والشكر.

إهـــــــداء

- الحمد لله الذي أعانني وفقني في إتمام بحثي هذا.

أهدي ثمرة جهدي:

- إلى روح والدتي العزيزة، أعلى الله مقامها في جنات النعيم.
- إلى والدي أطال الله في عمره وأمده بالصحة والعافية.
- إلى الذي سمحت لنفسي أن اعتبره والدي الثاني. عمي الحبيب.
- إلى الذين قاسموني الدم والرحم إخوتي الأعزاء: فاطمة، مهدية، ربيع، هواري، حليمة...
- إلى أسرتي الصغيرة: ربيع، فاطمة، فريدة.
- إلى إخوتي التي لم تلدهم أمي: محمد، شهيرة، يسرى، كريمة، عبد الرزاق، عبد القادر صافي.
- إلى جميع أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم خلال مشواري الجامعي.
- إلى كل صديقاتي: فايزة، ذهبية، حنان، لطيفة، حفيظة، فاطمة ونعيمة.

إلى كل من يعرف خضرة لعطاب

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

صدمات كثيرة توالت خلال السنوات الأخيرة من القرن الماضي، فأنتجت جملة من التيارات الفكرية المتلاحقة والمتداخلة، والتي حملت في طياتها أفكار ومعالم ثقافة العالم الغربي، فحاولت بسط نفوذها على العالم الشرقي عنوة.

وفي هذا السياق انكشف فكر الغزو الثقافي للعقل العربي، حيث تبين أنه سعى إلى عزل المسلمين عن عقيدتهم وسلخهم عن كيانهم المتأصل من خلال تأثر رعيل من الشرقيين مجبرين لا مخيرين بأفكار المستشرقين، والغريب في الأمر أن هذا الغزو الثقافي سعى إلى تخدير الإنسان الشرقي وزحزحته عن روحانيته، ولم يقتصر الأمر على هذا بل أحكم تصويب السهم في شريان الأمة الشرقية، في قلبها النابض ألا وهو الشباب الذي لا يدرك خفايا الغرب، فراح يصدق الأباطيل التي كان يروجها المستشرقين الغربيين.

إن التمركز الغربي بدا واضحاً من خلال تشييد مشروع الغزو الثقافي للشعوب غير الغربية، ولابد أن نشير إلى أن هذا الغزو الفكري قد احتوى على حركة الاستشراق والتبشير. فالمستشرقون هم بالدرجة الأولى مبشّرين، لأن مزاعم أهدافهم تكاد تكون واحدة من منطلق ضرب المسلمين عن طريق الكلمة "فكثيرا من المستشرقين قد باعوا ضمائرهم للشيطان التبشيري بما قاموا به من تزوير وتخريب للتاريخ والفكر الإسلامي"[1].

ومما نأسف له أن كثيراً من مؤسسات التبشير والإستشراق تلقفت العدد من شبابنا الشرقيين بهدف احتوائهم للثقافة الغربية وبث في نفوسهم الحقد والكراهية على الشرق العربي....لكن المسؤولية تبقى على عاتق هذه البلدان العربية التي ترسل أبناءها إلى الغرب.

وللأهمية التي يوليها موضوع الاستشراق في تاريخ الأدب العربي، و ما أثير حوله من دراسات وبحوث، فهو موضوع جدير بالاهتمام والبحث والدراسة.

أن هدف دراستنا هو بيان الوجه الآخر للحركة الاستشراقية وكشف الجانب الخفي لهؤلاء المستشرقين فمن واجبنا معرفة نظرة أولئك الغربيين لتراثنا العربي خاصة إذا تعلق الأمر بنظرتهم الاستعلائية في مواجهة الفكر الشرقي.

---

(1)- أنور الجندي: "المدّ الإسلامي"، دار السلام، تونس / ص232.

- **فما مفهوم هذه الظاهرة الفكرية و الأدبية ؟.و كيف نظر إليها العرب و الغرب؟**

-وما مدى تأثيرها على العرب و تراثهم؟

حديثنا سيقتصر على نشأة الحركة الاستشراقية و بالرغم من أثرها البالغ الذي تركته في أدبنا العربي فقد تجاوزنا النظرة العدائية في كشف بعض الحقائق الخفية.

وفي ذلك قسمنا بحثنا إلى فصلين :كان العنوان الأول منهما نشأة الحركة الاستشراقية تضمن أربعة مباحث. المبحث الأول تعريفات للحركة الاستشراقية عند العرب و الغرب و عن نشأتها و المبحث الثاني المراحل التي مرّت بها الحركة ثمّ المبحث الثالث دوافع الحركة الاستشراقية ورابعاً مدارسها. أمّا الثاني كان تحت عنوان: طه حسين و أثر مناهج المستشرقين في دراسة الشعر الجاهلي، خصصناه للحديث عن سيرة طه حسين في المبحث الأول، وفي المبحث الثاني منهجه في صحة الشعر الجاهلي، وثالثا دوافع التي قدمها حول قضية الإنتحال و رابعا لنتطرق بعدها إلى مناهج المستشرقين بين الإنصاف والمغالطة قاصدين بذلك الإطلاع والتعرف على أصناف المستشرقين ثمّ نهينا بأهداف الحركة الاستشراقية .ليتلخص ذلك في خاتمة ،وضّحنا فيها ثمرة النتائج التي توصلنا أليها.

أمّا عن المنهج المتبع فأنّنا اتخذنا منهجا تحليليا وصفيا في تتبع تطورات الحركة الاستشراقية عبر مسارها الطويل وفي نقد الأقوال الأدبية أخضعناها للمنهج النقدي.

وعن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها: ما ألفه عميد الأدب **طه حسين** "في الشعر الجاهلي"، "في الأدب الجاهلي "، "الأيام "، ما كتبه **أحمد سمايلوفتش** "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي "، وما ألفه **نجيب العقيقي**"المستشرقون "، ولا ننسى ما ألفه **عبد الرحمان بدوي** حول موضوع الاستشراق.

إنّنا نعتذر مسبقا عن الهفوات والأخطاء التي ما كان في مسعانا الوقوع فيها .

تلمسان في: 2012/05/23

الفصل الأول

الفصل الأول : نشأة الحركة الاستشراقية

I. مفهوم الحركة ونشأتها

II. مراحل الحركة الإستشراقية

III. دوافع الحركة الاستشراقية

IV. مدارس الحركة الاستشراقية

مما لا شكّ فيه أن صراع الحضارات تتحكم فيه يد الغرب حالياً وتسير وقائعه نحو روح التنافس القائم على فكرة التقدم والرقي بكل وسيلة تكفل لهذا البلد ولذلك دواعي التفوق.

فقد تمّ التفكير عند الغرب وغيرهم في إقامة منهجية تستهدف احتواء ثقافة الآخر، وركزت في ذلك على دراسة البيئة العربية الإسلامية لأسباب تاريخية، تعلّقت بخصوبة الحضارة العربية الإسلامية في زمن النضج والازدهار، وشملت هذا محاولة احتواء الجوانب العلمية والفكرية والثقافية واللغوية والدينية، واستحضر أصحاب الاحتواء أجهزة محكمة توافقت مع منهجيتهم في العمل والإنجاز، ومن بين هذه الأجهزة التي أدت وظيفة بين السلب والإيجاب ظاهرة عرفت بموضوع "الاستشراق".

شكل موضوع الإستشراق هاجساً لدى الباحثين، فأولوه عناية كبيرة لأنه لا يهتم بجانب معين من جوانب الحضارة بل يحاول التخصص في مختلف الجوانب الحضارية للشرق، ومن بين المسائل التي أشكلت على الدارسين: مفهوم الإستشراق، وأسباب ظهوره، وعلاقته بالدوائر الاستعمارية، وعلاقته بالتبشير، وعلاقته بالتوجهات الحضارية ككل.

I. تعريف الإستشراق:

قد يبدو أن الخوض في تعريف كلمة "الاستشراق" هو من باب التكرار فقد غاص فيه المختصون، وامتلأت به كتبهم، فلذلك ليس ثَم ما يبرر تكرار ما هو تحصيل، ومعروف بالضرورة، ولكن ليس من السهل على الباحث التعريف بالأفكار العلمية المجرّدة،"لأن العلم دوماً قابل للتطور، ولأن هذا التطور المستمر يكشف عن الجوانب الدفينة من قبل، أوكانت ناقصة ليست وافية بالغرض والمجال الذي يعالج فيه ذلك العلم، وظاهرة التطوّر والتغيّر تشمل جميع العلوم حتى التطبيقية منها، والتي بلغت الثبات والتحديد، ويعتقد معه أنها بمنجاة من ذلك التطور والتغيّر".[1]

وخاصّة أن المستشرقين قد أخذوا مواقف من التسمية (الاستشراق)، وذلك لارتباطه بدوائر مشبوهة كالتنصير والإستعمار والمخابرات، وهذا ممّا جعل بعضهم يتنصّل من التسمية ويتهرب منها.

---

[1]- الحاج سالم ساسي:" نقد الخطاب استشراقي"، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامية، بنغازي، ليبيا، يناير2002م ،ج1/ ص17.

أ- ***الإستشراق لغة***: الاستشراق كلمة مركبة من الشرق وإضافة إلى الحروف الزائدة "الهمزة والسين والتاء"، (أ، س، ت)، التي تعني في اللغة العربية طلب الشيء، فالاستشراق إذن طلب الشرق.

و"الشرق" كما جاء في لسان العرب في مادة (ش ر ق) - شرقت الشمس- تشرق شرقاً، طلعت، اسم الموضوع المشرق، وكان القياس المشرق، ولكنه أمر من هذا القبيل، وفي حديث ابن عبّاس نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس.[1]

يقال: "شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت،فإن أراد الطلوع فقد جاء في الحديث الآخر حتى تطلع الشمس، وإذا أراد إضاءة فقد ورد في حديث آخر حتى ترتفع الشمس، والإضاءة مع الارتفاع".

أما المعاجم العربية الحديثة فتجمع في مفهوم لفظ الإستشراق على أنه: "اتجاه الغربيين بتراث الشرق وحضاراته ولغاته".[2]

ولفظة استشراق مولّدة استعملها المحدثون من ترجمة كلمة "Orientalisme" ثم صاغوا الفعل المزيد اسماً. واستشراق في اللغات الأجنبية مرادفاً في الفعل العربي، والجدير بالذكر أن الكلمة التي نبحث عن مفهومها اللغوي لم ترد في المعاجم العربية المختلفة القديمة، غير أن هذا لا يمنع الوصول إلى معناها الحقيقي استناداً إلى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق.[3]

جاء في تاج العروس "الشرق"، حين تشرق الشمس، وقيل" الشرق": الضوء الذي يدخل في شق الباب وشرقت الشمس شرقاً وشروقاً، أضاءت وانبسطت على الأرض.[4]

ب- **الاستشراق اصطلاحاً**: لم يتفق الباحثون على تحديد بداية تاريخية بعينها،ولعل مرد ذلك إلى أن الدراسات الاستشراقية كانت تسبق ظهور مصطلح الاستشراق " orientalisme " بزمن طويل يظل إلى قرابة ألف عام.[5]

---

[1]- ابن منظور:" لسان العرب"، دار الصادر، الطبعة الأولى، بيروت، 1410هـ-1990م، / ص 173.

[2] - صبحي حموي:" المنجد في اللغة العربية المعاصرة"، دار المشرق،ط1،بيروت، 2000م/ ص765.

[3] - إسحاق موسى:" الإستشراق" . نشأته. تطوره. أهدافه، مطبعة الأزهر، القاهرة، 1967م/ ص01.

[4] - الزبيدي:" تاج العروس من جواهر القاموس"، تحقيق علي بشيري، دار الفكر، دط، 1994، ج13/ ص237.

[5] - عبد القدوس الأنصاري:" مجلة الأدب والعلوم الثقافية"، دار المنهل، دط، دت /ص129.

فالاستشراق بتعبير موجز:هو دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته.[1]

أمّا المستشرق فهو ذلك الغربي الذي يدرس تراث الشرق وكل ما يتعلق به وبعلومه، والدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته. وعليه فالاستشراق دراسة يقوم بها غير الشرقيين لتراث الشرق، إذا ما أجزنا المفهوم الواسع للإستشراق، والذي يعنينا – كما يقول الدكتور محمد زقزوق – هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه خاص. فهذا هو المعنى الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي، عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضاً في كتابات المستشرقين المعنيين.[2]

ورغم تداول مصطلح استشراق في مختلف الدراسات والكتابات والمؤتمرات إلاّ أن ثمّت اختلاف وتباين في تحديد مفهومه في كتابات المفكرين الغربيين، ذلك أن المنطلقات تختلف من جهة لأخرى.

التعريف العربي للاستشراق: عُرف الاستشراق بعدة تعاريف من قبل الباحثين العرب والمسلمين، وذلك بسبب التوجهات الفكرية لكل دارس، فمنهم من يراه عبارة عن دراسة يقوم بها بعض المفكرين الغربيين وفي ذلك يقول الدكتور حسن حنفي عنه: "تلك المحاولة التي قام بها ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافته وعلومه، كما يطلق لفظ مستشرق على المفكرين المشغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومصطلح الشرق يشمل الشرق الأدنى والأوسط والأقصى".

ومن الدارسين من نظر إلى من يقوم بالعمل الاستشراقي نظرة دينية، فقد وصفهم أحمد عبد التوّاب بالكفر، فيرى أن الاستشراق:"دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون ـــ من أهل الكتاب بوجه خاص ـــ للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة كانت أو شريعة وثقافة وحضارة وتاريخاً ونظماً وثروات وإمكانات ...بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم،وفرض التبعية للغرب ومحاولة

---

(1)- محمد حسين علي الصغير: "المستشرقون والدراسات القرآنية"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط1، بيروت، 1982م / ص11.

(2) - سعد المرصفي:" المستشرقون والسنة"، مكتبة المنار ، الكويت ومؤسسة الريان، بيروت،لبنان/ص9.

تبرير هذه بدراسات، ونظريات تدّعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي،ليست كل الدراسات أكاديمية".

ومنهم من يحدد الاستشراق بأنه "أسلوب فكري غربي أي (منهج غربي في رؤية الأشياء والتعامل معها)، يقوم على أن هناك اختلافاً جذرياً والمعرفة بين الشرق والغرب، وأن الأول يتميز بالتفوق العنصري والثقافي على الثاني"،[1] كما هو الأمر عند أرنست رينان.

وهو بالنسبة لآخرين عبارة عن دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من الدول الاستعمارية للشرق بشتى جوانبه: تاريخه وثقافته وأديانه ولغاته ونظمه الاجتماعية والسياسية وثرواته وإمكانياته... من منطلق التفوق العنصري والثقافي على الشرق ويهدف للسيطرة عليه لمصلحة الغرب، وتبرير هذه السيطرة بدراسات وبحوث ونظريات تتظاهر بالعلمية والموضوعية[2].

إن المفهوم العام للاستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه.[3]

وهو التخصص في فروع المعرفة المتصلة بالشرق وهو ما يطلق عليه عادة"المفهوم الأكاديمي أو الجامعي"[4].

لقد اختلفت اتجاهات وانشغالات المستشرقين،فقد اهتم-بالشرق قديماً وحديثاً- الرحّالة والمبشرون والضباط ورجال الإدارة الاستعمارية واللغويون واللاهوتيين وعلماء الآثار والأنتروبولوجيون، ومؤرخو الحضارات والتربيون والرومانسيون ورجال المخابرات والسياسيون والمهتمون بالشرق كافة.[5]

بينما يراد بالاستشراق اليوم حسب أحمد حسن الزيّات:دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره.

---

(1)- المرجع السابق/ ص03.

(2)- المرجع نفسه /06.

(3) - الحاج سالم ساسي:" نقد الخطاب الاستشراقي" الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية/ ص22.

(4)- شكري النجا، "لماذا الاهتمام بالاستشراق"، مجلة الفكر العربي، 1983م/ص60.

(5)- رضوان السيد، ثقافة الإستشراق ومصائره، مجلة الفكر العربي/ص8.

ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسته العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منارات بغداد والقاهرة من أضواء المدينة والعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقاً في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجامحة.[1]

بينما يذهب كل من أحمد الأسكندري وأحمد أمين في تعريفهما للمستشرق بأنه :"كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية وتقصّي آدابها طلباً للتعرف على شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانتها وعلومها وآدابها وغير ذلك من مقومات الأمم في الأصل في كلمة "استشراق". أنّه صار شرقياً كما يقال استعرب إذا صار عربياً.[2]

ويرى مالك ابن نبي أنه "يجب أولاً أن نحدد المصطلح: إنّنا نعني بالمستشرقين، الكتّاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية، ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى طبقات على صنفين:

أ- **من حيث *الزمن***: طبقة القدماء مثل:جرير دوربياك والقديس توما الأكويني.وطبقة المحدثين مثل كاردوفو وجول جولد زيهر.

ب- **من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين في كتاباتهم**: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية، وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها.[3]

ويتوسع علي عناني في فهمه للاستشراق فيقول:"من صيغة هذه الكلمة تعرف أن المستشرق هو المشتغل بالعقليات الشرقية سواء أكانت سامية أو غير سامية، ولكن هذه الكلمة في اصطلاح العلماء والأدباء تطلق على المشتغل بالعقليات السامية خاصة ويتبع ذلك البحث في اللغات الحامية".[4]

---

(1) – أحمد حسن الزيّات، "تاريخ الأدب العربي"، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ب ت/ص25-512.

(2)- أحمد الأسكندري وآخرون،" المفصل في تاريخ الأدب العربي"، مطبعة مصر، القاهرة، 1934م /ص27.

(3) – مالك بن نبي،" إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، دار الإرشاد بيروت،ط1 ،لبنان، 1969م، ص5-6.

(4)- علي العناني: " المستشرقون والآداب العربية"، الهلال أغسطس، 1932م، ج1/ص40.

أمّا **أحمد الشرباصي** فيرى:"أنّ المستشرقين قوم من أوروبا،نسبوا أنفسهم إلى العلم والبحث وشغلوهما في أغلب الأحيان بالبحث في التاريخ والدين والاجتماع، ولكل منهم لغته الأصلية التي رضع لبانها من أمه وأبيه ومجتمعه وبيئته،فصارت له "اللغة الأم" كما يعبرون، فهو يغار عليها ويتأثر بها، ولكنه مع ذلك تعلم اللغة العربية بجوار لغته الأصلية ليدرس حضارة الشرق وعلومه وآدابه".[1]

فالاستشراق إذاً: هو الدراسات الغربية للشرق الإسلامي...وبمعنى أقرب هو محاولة بعض المفكرين اختصاره في دراسة الإسلام وحضارته...

فرغم الكتابات التي كتبت حول الاستشراق لم تكن وخزاتها ذات بالٍ،لأنّها كانت تنطلق من ردود فعل عاطفية، و لم تستطع تفجير هذا الخطاب من داخله وتشكل خطاباً جديداً ورؤية متبصرة لطبيعة الاستشراق، إلا أن ثمة لغطات كان لها الدور في تغيير التصور العام للاستشراق، سواء في المنظومة الفكرية العربية أو المنظومة الفكرية الغربية، فقد كانت هناك محاولات للوقوف مع الذات وإعمال الفكر وتيقّظه والتي منها:

موقف جمال الدين الأفغاني: الذي زاد فضوله المقال الذي كتبه أحد الجزائريين بفرنسا – رداً على رينان– للرد على شبهات رينان التي تمحورت حول اتهام المسلمين بالعجز العقلي، واتهام الإسلام بازدراء العلم والفلسفة واضطهادهما، ورد ذلك إلى عوامل عرقية وعنصرية، فرد جمال الدين هذه التهم في مقال نشره في الصحيفة ذاتها في(18 أيار 1883)،ويتلخص ما أورده جمال الدين الأفغاني في مناقشته بقوله: "إن المرء ليتساءل – بعد أن يقرأ المحاضرة عن آخرها– أصَدر هذا الشيء عن الديانة الإسلامية نفسها، أم كان منشؤه الصورة التي انتشرت بها الديانة الإسلامية في العالم، أم أن أخلاق الشعوب التي اعتنقت الإسلام أو حُملت على اعتناقه بالقوة، وعاداتها وملكاتها الطبيعية هي جميعها مصدر ذلك[2]:

– **موقف الشيخ محمد عبده**: الذي حاور رينان في نظريته البيولوجية وادعاءاته السلبية في علاقة الإسلام بالعلم.[3]

---

(1)– أحمد الشرباصي:" التصوف عند المستشرقين"، مطبعة نور الأمل، سلسلة الثقافة الإسلامية، 1966م/ص6.

(2)– حسن حنفي:" ماذا يعني علم الاستغراب؟" دار الهادي، ط1، بيروت،2000 /ص7.

(3)– ينظر كتاب" الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية"، محمد عبده، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، النشر الثاني، 1990.

- **موقف محمد البهي** :في كتاباته المختلفة عن علاقة الإستشراق بالاستعمار والتنصير[1].

- **موقف مالك ابن نبي**: الذي ضيق الخناق على المستشرقين بدون تمييز...فكلهم يتحمل خطيئة التأثير سلباً على الفكر الإسلامي[2].

- فأمّا اللحظة الأولى فهي لحظة **أنور عبد المالك** (1963).حيث نشر مقالته الشهيرة "الإستشراق مأزوماً". في مجلة ديوجين Deagene رقم 44 العدد 1963، وقد ترجمت هذه المقالة إلى العربية من قبل الأستاذ محمد قبيسي بعنوان "الإستشراق في أزمة"، ونشرت في مجلة الفكر العربي العدد 31 سنة 1973، وهو عدد خاص عن الاستشراق. فقد تضمنت أفكاراً نقدية جدية في باب تفكيك بعض أوليات الخطاب الاستشراقي، والسعي لرد الاعتبار إلى الذات التي تقوم داخل هذا الخطاب في مقال الموضوع ومن أهم تلك الأفكار[3]:

- إن سبب تأزيم الاستشراق التقليدي يعود رأساً إلى منجزات حركات التحرير الوطني في "القارات الثلاث المنسية" التي أدّت حتماً إلى تحويل البلدان المستعمرة من وضع الموضوع ـــ الشيء إلى وضع الذات المستقلة الفاعلة.

- أن الإستشراق تعبير إيديولوجي متقدم من المحورية الأوربية Europeoren trisme القائمة أساساً على تضخيم المركز الأوروبي من حيث الوضع والوظيفة، وتهميش ما سواه من التبعيات والملاحق مما ينتج على الصعيد المعرفي، والتنقيص من شأن الدارسين والباحثين القوميين وتسييد الكتابات الاستشراقية بدعوى علميتها وتقدمها المنهجي.

- التبعية الاستشراقية للاستعمار والتنصير والصهيونية.

- تطور العلوم الاجتماعية والإنسانية في الغرب.

---

(1) ـــ ينظر كتاب" الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي"، محمد البهي، دار الفكر،ط5، بيروت، 1990.

(2) ـــ ينظر كتاب "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، مالك بن نبي، دار الإرشاد، بيروت.

(3) - عقيلة حسين:" المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي"، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2004/ ص36.

- غياب المنهج في الدراسات الاستشراقية.[1]

ولعل أكثر الدراسات جرأة هي الدراسات التي قام بها إدوارد سعيد في كتابه الهام "الإستشراق" فهو يعرفه بأنه:"فرع من فروع المعرفة الذي يتناول الشرق بطريقة منظمة من حيث هو موضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق".[2]

استطاع **إدوارد سعيد**- الذي عاش في الغرب مدة طويلة - أن يصل إلى أن الطموح الغربي يتجاوز حدود الدراسة العلمية، ولذلك "فالاستشراق حقل ذو طموح جغرافي وافر، مادام المستشرقون تقليدياً قد شغلوا أنفسهم بالأشياء الشرقية،فالمختص في الفقه الإسلامي تماما كالمختص باللهجات الصينية، أو الديانات الهندية، وهو مستشرق في عرف من يسمون أنفسهم مستشرقين."[3]

لا يمكن فهم المناقشة الاستشراقية أو المناقشة الدائرة حول الاستشراق بين المثقفين العرب من جهة، والمستشرقين من جهة أخرى، إلاّ إذا ما وضعناها ضمن إطار عام من الصراع الكائن بين الشرق والغرب، فالخطابات تعبير عن الجهة التي تطلقها أو تصدر عنها، والخطابات العربية الإسلامية تعبير عن العرب والمسلمين، مثلما أن الخطابات الاستشراقية تعبر عن الجهة الغربية وعن مصالحها وامتيازاتها، والحرب لا تكون بواسطة الأسلحة النارية والاقتصادية والمادية، وإنّما تكون بواسطة الخطابات الكلامية والفكرية. "فالاستشراق" قراءة الشرق بمنطلق سلطوي يؤسس التمييز بين نمط المعرفة الغربية التي توصف دائماً بالعقلانية، وبين الثقافة الشرقية التي بدت في كل التقريرات الاستشراقية عنواناً لنمط التفكير الأسطوري،ونموذجاً لعقل لا يمتلك الربط بين البرهان وبين المقدمات والنتائج.[4]

---

(1) - المرجع السابق/ ص36.

(2) - إدوارد سعيد:" الاستشراق"، المعرفة، السلطة، الإنشاء، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط4، 1995/ص260.

(3) - المرجع السابق/ ص83.

(4)- إدوارد سعيد:" الاستشراق"، المعرفة، السلطة، الإنشاء، كمال أبو ديب – مؤسسة الأبحاث العربية ط4،لبنان، 1995م/ ص260.

التعريف الغربي للإستشراق:

إذا كان الاستشراق قد أخذ أبعاداً مختلفة لدى المثقفين العرب والذين نظروا إليه برؤى شكلت بحسب انتماءاتهم الفكرية وحسب تكوين كل مثقف، وحسب ردود الفعل التي كان يتخذها هؤلاء المثقفين كلما كان الموقف يتطلب ذلك، فإن التعاريف التي صدرت عن المستشرقين أو الدارسين الغربيين، وحتى القواميس المختلفة لا تنفي الطابع العلمي عن مختلف الدراسات الاستشراقية، كما أنها لا تختلف في كثير من الأحاسيس عن المواقف العربية في ردود الفعل والتكوين الثقافي.

يقول المستشرق الفرنسي "مكسيم رودسون" عن" الاستشراق "إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق، والحاجة كانت ماسة لوجود متخصص للقيام على إنشاء المجالات والجمعيات والأقسام العلمية".

وأمّا **رودري بارت** فيقول "الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي".

والمستشرق بالمعنى العام، تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه وأدناه في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه.

وقال ميكائيل انجلو جودي: "ليس صاحب علم الشرق أو المستشرق الجدير بهذا اللقب الذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة، أو يستطيع أن يصف غرائب عادات بعض الشعوب، بل أنه هو من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق وبين الوقوف على القوة الروحية والأدبية الكبيرة، والتي أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية وهو من تعاطي درس الحضارات القديمة، ومن أمكنه أن يقرر شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن في القرون الوسطى أو في النهضة الحديثة".[1]

فلا يختلف اثنان من المستشرقين في عملية العمل الذي يقومون به والمتمثل في دراسة الشرق من حيث جوانبه الحضارية، واكتشاف ذات المنطقة، ولذلك نجد أن المستشرقين يفتخرون بما أنجزوه في ميدان التحقيق والنشر والتعريف بالثقافة العربية الإسلامية، ونفي علاقتهم بالدوائر الاستعمارية والتنصيرية.

---

(1)- عقيلة حسين:" المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي"/ ص31-32-33.

ولّما أظهر العرب ردود أفعال ومواقف حيال الاستشراق لعلاقته بالدوائر المشبوهة كالمخابرات والاستعمار، ظهرت على التو مواقف وانسحابات من هذا التصنيف، فأصبح من كانوا يعتزون بهذا المصطلح يتسابقون لإخراج شهادة وفاتهم.

كان لكتاب **إدوارد سعيد** الأثر البالغ في تغيير المواقف لدرجة أن الذين أطلق عليهم اسم "المستشرقون" أصبحوا يسارعون لنفي التسمية عنهم، وفي أهمية الكتاب ودوره في إحداث هذا التغيير في المواقف، يقول محمد موفق الأرناؤوط: "أن كتاب إدوارد سعيد "الاستشراق" أصبح يؤرخ به؛ أي ما قبل وما بعد الاستشراق، حيث أن صدور هذا الكتاب بطبعاته المختلفة أثّر ولا يزال يؤثر سواء في دوائر الاستشراق أو في دوائر البحث حوله مما أنتج ما يمكن أن يسمى "مراجعة الاستشراق".[1]

فبعد أن فضح **إدوارد سعيد** المستشرقين الاستشراق بدأ المصطلح في التقلص وأصبح الذين كانوا يتظللون بظلاله فيما سبق يتنكرون له ويحاولون تغييره، فها هو المستشرق الفرنسي أندري ميكال (1929) ،يرفض أن ينتمي إلى هذا التصنيف ويرد على من يصنفه ضمن المستشرقين بقوله: "أنا أجهل معنى تعبير الاستشراق تاريخياً. الاستشراق يعني أن باحثاً غربياً يقوم بأبحاث حول الشرق، والشرق يمكن أن يكون العالم العربي أو الصين، أنا لست مستشرقاً، وأرفض هذه الكنية، أنا عروبي سحرني الأدب العربي، فانكببت عليه بحثاً ودراسة". ويقول في موضع آخر: "لست مستشرقاً، اهتمامي يدور حول اللغة والأدب العربيين، ويصفه خاصة الكلاسيكي، أي حتى القرن التاسع عشر، فأنا متخصص في اللغة والأدب العربيين...في النهاية إذا شئت فأنا أفضل أن يطلقوا علي لفظ مستعرب أكثر من مستشرق"[2]، بل ويتنكر أندري ميكال لهذا المصطلح، ويرى أنه غريب ولا يعرفه ولا علاقة له به، وأن ما يهمه هو الشرق وحده، بل العالم العربي من المحيط إلى الخليج أدبه ولغته وحضارته، وهو يحاول أن يتخصص فيه على الأقل.[3]

---

(1)- محمد أرناءوط:" مراجعة الاستشراق"، ثنائية الذات الآخر نموذج يوغسلافيا-المدار الإسلامي،ط1 طرابلس، 2002م/ ص7.

(2)- أحمد الشيخ:" من نقد الإستشراق إلى نقد الاستغراب"، حوار الإستشراق، المركز العربي للدراسات الغربية،ط1، القاهرة،1999/ ص81- 88.

(3)- مع المستشرقين كلود كوهين وأندري ميكيل، مقابلة أجراها عبد الغني أبو العزم، شؤون عربية،(شباط/ فبراير/ فيفري)، 1982/ ص284.

أما المستشرق الفرنسي **وميميك شوفالييه** (1928) ."ينكر المصطلح ويحمله تبعات تاريخية، ليست إيجابية".[1] فهو يرى أن "كلمة مستشرق اتخذت ملامح جدالية خلافية في السنوات الأخيرة، ويعزوها بعضهم إلى الامبريالية، وأنا أعتقد أن الاستشراق وجد من زمن بعيد في الغرب".[2]

أمّا المستشرق الفرنسي **مكسيم رودنسون** (1910- 2004)، فإنّه لا يستطيع أن يتحدث عن مصطلح لا وجود له، فبالنسبة له "توجد أنظمة علمية لها موضوعها وإشكالياتها النوعية، مثل علم الاجتماع، وعلم الاقتصاد السياسي، والألسنية والفروع المختلفة للتاريخ".[3]

ويقف المستشرق الفرنسي **جاك توبي** الموقف نفسه ويتشبث باختصاص المؤرخ بل ويستنكر على من يدعوه بالمستشرق بقوله: "مستشرق! لا، كما لا أعرف إذا كان ما يزال هناك وجود لبعض المستشرقين أم لا. هذا مصطلح قديم ...بالنسبة إليّ لست مستشرقاً، ولكنّي مؤرخ للعلاقات الدولية، وفي هذا الإطار رحت للمنطقة العربية في فترة محدودة".[4]

وقد مسّت هذه التراجعات في ميدان العمل الاستشراقي أقطاب الاستشراق، فقد أصبحوا ينسلون الواحد تلوى الآخر من هذه التسمية التي أصبحت في رأيهم لا تشرف صاحبها واختاروا تسميات أخرى تتناسب وتخصصاتهم المختلفة، فها هو "كلود كوهين" لا يرى في نفسه مستشرقاً، بل هو مؤرخ للإسلام من العصر العباسي إلى العصر العثماني، ويجيب عمّن سأله عن الاستشراق بأنه (أي الاستشراق)، لم يعد يتلاءم والواقع، ولذا ينبغي إعادة النظر في دلالته التاريخية.

أمّا المستشرق الروسي **أغناطيوس كراتشوفسكي** (1883- 1951) ،فقد أسس الاستعراب الروسي الذي يقول فيه: "العصر الجديد في تاريخ الاستعراب الروسي يبدأ من المرسوم الجامعي سنة 1804، لأن هذا المرسوم أدخل تدريس اللغات الشرقية في برنامج الدراسات العليا، وأسس الأقسام الخاصة لهذه اللغات".[5]

---

[1] – علي إبراهيم نملة: "الالتفاف على الاستشراق"، محاولة التنصل من المصطلح، مكتبة الملك عبد العزيز العامة،دط، الرياض، 2007/ ص69.

[2] – أحمد الشيخ: "من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب"/ ص115- 116.

[3] – المرجع نفسه/ص37-35.

[4] –المرجع نفسه/115-116.

[5] – فاطمة عبد الفتّاح: "إضاءات على الاستشراق الروسي"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000/ ص12.

وأكثر المستشرقين رفضاً لمصطلح الاستشراق، المستشرق الأمريكي **برنارد لويس** (1916) الذي بمقت المصطلح، ويدعو إلى رميه في زبالة التاريخ. هذا إذا كان للتاريخ زبالة! ويؤكد على رميه في مزبلة التاريخ ويقول أيضاً: "وهكذا تم رمي مصطلح المستشرق في مزبلة التاريخ".[1]

نشأة الحركة الاستشراقية:

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك؟ ولكن مما يجدر ذكره أنّ بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبّان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن الكريم والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على يد العلماء المسلمين في مختلف العلوم، بخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.

يقول: د- عمر فروخ "إن أوائل المستشرقين منذ القرن الرابع عاشر(14) هجري كانوا الرهبان خاصة، ذلك لأن العلم كان في ذلك الدور من تاريخ أوربا قاصراً على الرجال الكهنوت، فلا عجب إذن إذا نحن قلنا إن جربرت " Gerbert" الفرنسي الذي أصبح بابا باسم سلفستر الثاني. كان أول المستشرقين، وأول بَابَا فرنسي يرقى سدة الفاتيكان.[2]

وكان إلى جانب "جربرت دي أورلياك" GERbert de orlial"، الرهبان بطرس المحترم " Pierre le senere"(1092-1196)، و"جيراردي كريمون Gerard de crement"(1114-1118). وقد عمل هؤلاء تحت راية الكنيسة التي كان لها دور في دفع تكوين العملية الاستشراقية، وذلك بالتعرف على اللغة العربية وآدابها لبدء عملية التبشير، فقد بدا للباباوات أن ينشئوا الرهبنة في القرون الوسطى لبث الدعوة الدينية بين أبناء الشرق في آسيا، وإفريقيا، وفي الأندلس وصقلية من قارة أوربا، وثبت لهم أنه لا سبيل إلى إنجاح هذا المشروع إلاّ بتعليم لغات المشارقة ولاسيما العربية.

---

(1)- محمد أركون وآخرون:" الاستشراق بين دعاته ومعارضيه"، إعداد هاشم صالح، دار الساقي،ط2 بيروت،2000 /ص261.

(2)- عمر فروخ: "الاستشراق بحث المستشرقون (ما لهم وما عليهم)"،سلسلة كتب الثقافة المقارنة، بغداد، العدد 1.ب ت/ ص 45.

وبعد عودة أولئك الرهبان إلى بلادهم، نشروا ثقافة العرب، ومؤلفات أشهر علمائهم، فأسست المعاهد للدارسات العربية. وكانت أول مدرسة للدراسات الشرقية في أوربا، هي التي أسست في طليطلة سنة 1250م وتدرس فيها العربية والعبرية، ومن أشهر خرجيها "رايموندوس لوللوس "raynum dus lulus"حوالي سنة 1310م الذي كان يتقن العربية ويعرف المؤلفين العرب معرفة جيدة لا يضاهيه فيها أحد من الغربيين، حتى العصور الحديثة، وكثر إنشاء الجامعات في الغرب فتمّ تأسيس أول جامعة في أوربا الوسطى في كراكو من مدن بولندا سنة 1361م. وبعد أربع سنوات أنشئت جامعة "فيينا" وهي أول جامعة ألمانية[1].

كما يرى بعض الباحثين أن تاريخ نشأة هذه الحركة أو الظاهرة الأدبية والفكرية إلى ذلك الانهزام المرير الذي ألمّ بالأمم الغربية أثناء الحروب الصليبية، حينما أحس الغرب بالذهول والإحباط أمام قوات المسلمين والإسلام وفي هذا يقول علي محمد جريشة: "...ولكن الذي نشط الاستشراق أكثر وحرّكه في الاتجاه السلبي و انحرافه عن الأغراض العلمية النزيهة منذ البداية، هو ما كان من إخفاق الحروب الصليبية الذي كان دافعا للمزيد من الاهتمام بالثقافة الإسلامية بدليل الوثيقة الخطيرة التي عثر عليها أخيراً وتتضمن وصية القديسين ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة، الذي أيقن لدى عودته إلى فرنسا أنّه لا سبيل إلى النصر، و التغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية، ولذا يتعين تحويل المعركة من ميدان السلاح إلى المعركة في ميدان العقيدة والفكر..."[2].

يتضح لنا من خلال ذلك أن الحروب الصليبية التي دارت رحاها بين المسلمين والنصرانيين كانت سبباً راعياً لنشؤ هذه الحركة الاستشراقية، فاستدعت هذه الحروب توغل الغرب في العالم الشرقي ليسترجع خسارته الفادحة.

وهناك من يجزم أن تاريخ الحركة الاستشراقية يرجع إلى رجال اللاهوت الذين اخذوا التبشير كوسيلة لنشر تعليم الكنيسة. فسخّر رجال اللاهوت جهودهم لخدمة الدراسات الشرقية ونشرها. وفي هذا الصدد يقول **مصطفي السباعي**: "وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم، نشروا ثقافة العرب وأشهر مؤلفاتها...ولم ينقطع

---

(1)- محمد كامل عبادة:" صفحات من تاريخ الاستشراق"، مجلة العلّمي العربي، 1960، ج1 / ص 344-379.

(2)- علي محمد جريشة:"أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي"، دار الاعتصام،القاهرة،1979م /ص 19.

من ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية فترجموا القرآن وبعض الكتب العربية والعلمية والأدبية"[1].

- لقد **رصد سمايلوفيتش**[2] مجموعة من آراء علماء العرب وعلماء الغرب في بدية نشأة الحركة الاستشراقية:

- محمد **البهي**: الذي يرى أنّ بداية الاستشراق كانت في القرن الثالث عشر الميلادي في بعض البلاد الأوروبية.

- **إبراهيم اللبان**: الذي يرى أن البداية، كانت في القرن العاشر الميلادي ثم ازدهر بعد ذلك.

- **أمّا علي الخربوطلي**: فيؤكّد أن الاستشراق بدا في العصور الإسلامية الوسطى، حينما كان العرب في الصّدارة.

- ويذهب **أحمد الشرباصي**: إلى أن الاستشراق، بدأ تقريباً في القرن الثالث عشر الميلادي.

- ويعيد **جورجي زيدان**: بدايته إلي القرن العاشر ميلادي. إذ أراد المستشرقون الإطلاع على ما في العربية من علوم.

- أمّا **نجيب العقيقي**: فيرجع ظهور الاستشراق إلى ما قبل الحروب الصليبية التي لم تكن - في رأيه- إلا نتيجة لوقوف الغرب على الشرق.

- أما **إسحاق الحسيني**: فيرى أنه من العسير أن يحدد ظهور الاستشراق بسنة معينة وإنما يحدد بالتقريب بما قبل مئة سنة من ظهور الإسلام.

- ويؤكد **أسعد داغر**: ما أكده غيره من أن الاستشراق نشأ منذ القرن العاشر الميلادي.

---

(1)- مصطفى السباعي:"الاستشراق و المستشرقون(مالهم وما عليهم)"،دار السلام،القاهرة، 1999/ص4.

(2)- أحمد سمايلوفيتش:"فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"،دار الفكر، القاهرة،1998/ص4-56.

- أمّا **أحمد سمايلوفيتش**: فيقول:"لو تتبع الباحث آراء العرب جميعا لرآها تقترب من هذه الآراء التي سردناها...."[1].

أمّا أراء الغربيين فيمكن التمثيل لها بالأسماء التالية[2] :

- يذهب **الأب لامس**: إلى أن الأحبار الرومان قرروا دراسة العربية في مدارسهم منذ القرن الثالث عشر(13)، إلّا أنّهم لم ينفذوا ذلك في فترة قصيرة عام 1519.

ويخطئ **برناردلويس**: اولئك الذين يعتقدون أن أول اتصال بين أوروبا والعالم العربي، يعود إلى الحروب الصليبية، فاحتكاك الغرب بالمسلمين كان قبل ذلك.

- فيما يزعم **ماكس فانتاجو**: أن الاستشراق ظهر في بدايات القرن الثاني عشر، بعد دخول الصليبين إلى القدس، وتمكن علماؤهم من نقل خمس عشرة كتاباً في الهندسة.

ويخلص سمايلوفيش إلى القول أن ميلاد الاستشراق "كان حينما التقى الأوربيون بالثقافة العربية الإسلامية المتفوقة على حضارتهم، وظلّت حركة الاستشراق تنمو وتزدهر حتى استطاعت تكوين صرحها العلمي في النصف الثاني من القرن العشرون".

---

(1)- المرجع السابق/ص65.

(2)- المرجع نفسه/ص97-57.

II.مراحل الحركة الاستشراقية:

لعب الاستشراق دوراً كبيراً في الكشف عن التراث الشرقي الذي ربّما من الصعب أن يكتسي طابعاً عالمياً إلا بفضله لا بدافع حب الإطلاع عليه، إنما بدافع تحطيم كيان الأمة الشرقية، وقد تكشفت أهداف الحركة الاستشراقية المختلفة خلال العقدين الأخيرين.

يحق لنا أن نقف عند حدودها، ومن بينها محاولة سلخ الاتجاه الأدبي الحديث عن اتصاله بالأدب العربي القديم، وكسر جسر التواصل بينهما وبذلك يكون أدبنا العربي قديمه وحديثه قد واجه أكبر خطر في تاريخ مساره الطويل.

وما هذه المراحل إلا دليلاً عن الاستراتيجيات المحكمة والمدعمة من قبل حكوماتها الغربية، ولابد أن نشير إلى اختلاف الباحثين في تقسيمهم لتلك المراحل. ومن بين هذا التقسيم ما جاء به **كمال أبوديب**، حيث قسم مراحل تطور الحركة الاستشراقية إلى ثلاث مراحل، بدءاً بالمرحلة الأولى: من بداية القرن التاسع عشر. ثم المرحلة الثانية: حددها من بداية القرن التاسع عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر حتى نهاية الستينيات من هذا القرن، أما المرحلة الأخيرة فتبدأ من الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

أمّا نحن فقد تتبعنا الطريقة التي سلكها **أحمد سمايلوفتيش** في كتابه: "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر" لا لشيء وإنما لدقة تقسيمه.

1/ المرحلة الأولى:مرحلة التكوين:

من خلال تتبعنا البوادر الأولى للحركة الاستشراقية وجدنا أنّها تعود إلى القرن الثامن ميلادي، انطلاقاً من المؤلفات الإغريقية والرومانية التي أسهبت في حديثها عن الجزيرة العربية. وعليه كانت الإرهاصات الأولى للاستشراق جامدة و لم تعرف حيويتها إلّا بعد تصديها لتلك الحملات الغربية المسعورة، حينما اتخذ الغرب الكنيسة مجالاً خصباً لنمو وترعرع الحركة الاستشراقية عن طريق فكرة التبشير فظهر أول احتكاك بين المستشرقين والشرقيين استهدف من خلاله الغربيين المبشرين الحقائق الإسلامية والعربية بالتشويه والتزييف،

ومنه أن التبشير في حد ذاته ظاهرة دينية وفي باطنه استعماري، وفي هذا يقول **محمد علي الصغير**:"إن الإسلام مجرد بدع، والمسلمين مجرد وحوش وهمجيين وأن القرآن الكريم نسيج من الخرافات والأساطير"[1].

من الجرم أن يصف هؤلاء المستشرقين الديانة الإسلامية بأوصاف تنافى حقيقة الواقع، فالإسلام دين رحمة وتسامح وهداية للناس كافة، والمسلمين قد ساروا على نهج العقيدة الإسلامية كما أن القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على سيد المرسلين والخلق أجمعين، فهو دستور عقيدتنا يعلو ولا يُعلى عليه، هذه الحقيقة لا مناص من إنكارها وهاهي **زيغريد هونكه** ترد على من وصفوا مآثر المسلمين بالتعصب والهمجية فتقول:"فما يدعونه بأقوالهم هذه إنّما هو من نسج من الخيال تكذّبها الآلاف من الأدلة القاطعة، تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاتهم على الشعوب المغلوبة."[2].

ومن هنا نقول أن هناك ارتباط وثيق بين فكرة التبشير والحركة الاستعمارية أو بالأحرى بين فكرة التبشير وفكرة الاستشراق، حيث أنّهما عدا واحد تحت هدف واحد ألا وهو نسج خيوط من الأكاذيب المفتعلة والمغالطات الزائفة. فمسعاهم إذن هو تغيير العقلية العربية عن طريق مؤسستين هما "التبشير الذي انصب على ميدان التعليم والاستشراق الذي انكب على مجال الثقافة"[3].

2/المرحلة الثانية :مرحلة التقدم:

ذاع أمر حركة الاستشراق وانتشر صيتها خاصة بعد قيام الحروب الصليبية وبذلك تغيرت العقلية الأوربية حيث صبت اهتمامها على اكتشاف سرّ تنور العقلية العربية، هذه العقلية التوّاقة إلى التحرر من بعض المعتقدات البالية،التي لازالت مقدسّة عند العرب، ومما زاد في عقليتها حقدا وكراهية للأمم الشرقية انهزامها وانكسارها في تلك الحروب الصليبية الاستعمارية،كونّها أفرزت نزاعات تعصبية لم تأبه للإسلام بقدر ما كانت تسعى إلى المغالطة للعقلية العربية إلى حد وصفها بالعقلية غيرالسوية وفي هذا يقول **ارنست رينان**:"أن الساميون مثل على التطور المعاق، فما من سامي حديث قادر على أن ينفلت خارج المطالب المنظمة التي

---

[1]- محمد علي الصغير:"المستشرقون والدراسات القرآنية"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1986/ص185.

[2]- زيغريد هنكه:"شمس العرب تسطع على الغرب"،نقلا عن الألماني يبغون،كمال دسوقي،دار صادر،دار الأفاق الجديدة ط9، 2000،/ ص366 -367.

[3]- أنور الجندي: "إطار إسلامي للفكر المعاصر"،دار المكتب الإسلامي،ط2،1998/ ص13.

تفرضها عليه أصوله مهما ظل نفسه حديثاً. فقد فعلت هذه القاعدة الوظيفية فعلها على المستويين الزماني والمكاني فما من سامي تقدم في الزمن إلى نقطة تتجاوز مرحلة "كلاسيكية"،وما من سامي قادر على أن ينفلت من أسر البيئة الرعوية الصحراوية بخيمته وقبيلته."[1]

يتضح لنا من خلال نظرية المستشرق الفرنسي **ارنست رينان** للساميين أنه شديد الحكم على الفكر العربي أو بالأحرى متعسف في نظرته عن العقلية العربية خاصة حين يصفها بالتطور المعاق، فهو جائر في حكمه، و لم يع بحق قيمة هذه العقلية في مدى إسهامها بانجازاتها في التطور الحضاري للإنسانية جمعاء، وهنا يحضر لنا قول المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكه** حيث تقول:" حقاً إن قدرة هذه العقلية العربية على طبع الشعوب الرائعة؟"[2] هذا يكشف أحد وجوه الحركة الاستشراقية خاصة عندما تتطاول ألسنة العديد من المستشرقين الناقمين على الأمم الشرقية تجاوز حدود الصراع العقيدي إلى صراع أخطر منه وهو محاربة العقل العربي.

إذن نرى أن النشاط الاستشراقي خلال القرن التاسع عشر بلغ عصره الذهبي، ففي هذه المرحلة لبس ثوباً ذا صبغة علمية وثقافة خاصّة عند تأسيس معاهد ومدارس متخصصة للدراسات الشرقية، فبهذا كله تحددت معالمه واتضحت مجالاته وانكشفت أهدافه.

3/المرحلة الثالثة :مرحلة انطلاقية:

بعد أن اتضحت معالم النشاط الاستشراقي وبلغ ذروته في النيل من التاريخ الإسلامي، اتسعت دائرة الافتراءات والأباطيل المزيفة للحقائق ومبادئ الحضارة الإسلامية، وبالتالي وصل المستشرقون إلى تحقيق هدفهم، ألا وهو تجسيد المزاعم المدسوسة والمدروسة بشتى الطرق والوسائل.

ومما لا ريب فيه أن الحركة الاستشراقية خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين(20) - عصر تنوير العمل الاستشراقي – عرفت انتعاشه وانطلاقة نوعية بفضل الطباعة ونشاطات المستشرقين. أمّا الطباعة فقد ساهمت في نشر أمهات الكتب الأدبية والعلمية والفلسفية، ويجدر بنا أن ننبه القراء إلى تصنيف **مصطفي السباعي** لبعض الكتب ودعوته إلى الحذر منها، حيث يقول:"بعض الكتب الخطيرة التي لها مكانة علمية عند بعض الناس "دائرة المعارف الإسلامية"،"موجز بعض المعارف الإسلامية"، "دائرة معارف الدين

---

[1]- كمال أبوديب:"الاستشراق"،المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد24، 21.

[2]- زيغريد هونكه:"شمس العرب تسطع على الغرب"/ ص366-367.

والأخلاق"، "تاريخ العرب " من تأليف فليب حتي،"الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام "تأليف لوي ماسينيون، "محاولات في شرح الأدب المعاصر" تأليف فون.جرونباوم..."[1] وغيرها من الكتب.

وبفضل جهود بعض المستشرقين برزت إسهامات بعض المستشرقين الفرنسيين **سلفستر دي ساسي** 1833، التي ساعدت على ازدهار العمل الاستشراقي، وفي هذا يقول **يوهان فوك**: "فقد ساهم **دي ساسي** عبر أنشطته تلك تأثير قوياً على الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، هذا وإن استمراريته لا تعزي إلى انجازاته العلمية التي تحملت بفكرته ،وعروضه الشفافة بقدر ما تعزى إلى تأثير شخصيته معاً..."[2].

[1]- مصطفى السباعي:"الاستشراق والمستشرقون(مالهم ،وما عليهم)"/ص47-48.

[2]- يوهان فوك:" تاريخ حركة الاستشراق"،دار المدار الإسلامي،ط2،طرابلس، 2001 /ص141

III. دوافع الحركة الاستشراقية:

بلا ريب فإنّ ظهور الاستشراق في بداية أمره كان لأسباب حضارية بما لكمة حضارة من مدلولات وامتدادات،وقد توزّعت هذه الدوافع بحصر المظاهر الحضارية، وكأن العمل في مجال من مجالات الاستشراق هو بمثابة الدفاع عن مصالح الغرب والرغبة في فرض ذاته لبناء صرح الحضارة الغربية وذلك بزوال،حضارة الشرق وهذه الأسباب والدوافع التي يختلف فيها المؤيدون والرافضون للفكر الاستشراقي و"في الحق أن كلاً من الثناء المطلق والتحمل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا من أعمال،وما تطرقوا إليه من أبحاث، ونحن من قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم"[1]، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا إعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعمَلُونَ﴾ [2].

وللاستشراق بوجهه العام من خلال دراساته العربية والإسلامية دوافع متفاوتة شدة وضعفاً، إذ كان للمستشرقين عناية كبيرة بالإسلام والآداب العربية، وقد اتسمت بعض هذه الدوافع بالطابع التبشيري، بينما اتجه البعض الأخر بغرض استعماري،وخلص القسم الثالث باتجاه علمي، بالإضافة إلى دوافع أخرى:

أ- **الدافع الديني:** استيقاظ الغرب على فلول الفاتحين في القرون الوسطى تدُك سنابك خيولهم آخر معاقل الرومان والبيزنطيين وسرعان ما صنعوا في الأندلس حضارة كانت مركز عبور بين الشرق والغرب. ولم يكد الغرب يهضم الفتح الأول حتى شد الألوية رجل من أواسط آسيا جاء زاحفا يحمل مفاتيح مدينة القسطنطينية سنة 1483، ليستلم أصول الخلافة ويبدأ حركة الزمن الإسلامي من جديد إنه **محمد الفاتح آل طغرل**.

وحينما تساءل الغرب عن سر تجمع القبائل العربية والطابع الحضاري الذي يحمله هؤلاء العرب، وعن السر الذي جمع العرب والفرس والأتراك، وما كانت الإجابة غائبة عنهم، وما كانت الحقيقة لتخفى طويلا، إنّه الإسلام، هو الذي صنع هذه الجيوش المتكوّنة من العسكري والعالم والتاجر والفلاّح والعربي والتركي والفارسي.....الخ. لقد شهد النصارى منذ قرون طويلة سرعة انتشار الإسلام، وقدرته الفائقة على الانتشار

---

[1]- مصطفي السباعي :"الاستشراق والمستشرقون "، دار الوراق للنشر والتوزيع،ط1-بيروت، 1999/ص20-21 بتصرف.

[2]- سورة المائدة، الآية: 08.

والتوسع والتغلب على خصومهم وخاصة عندما غزا الإسلام الصليبية وانتصر عليها في عقر دارها وأقام حضارة ودولة أندلسية[1].

وفَنَّدَ عقيدة النصارى وأبطلها وخاصة ما تعلق بعقيدة التثليث ونبوّة المسيح وحقيقة التوراة.

ولّما تيقن هؤلاء أن الإسلام أصبح يمثل خطراً وتهديداً على النصرانية ووقف انتشارها وسلب منها أتباعها – الذين حوّلوا رموزها إلى رموز المسلمين (تحويل الكنائس إلى مساجد)[2].

هبّ المستشرقون يكتبون عن الإسلام بروح متعصبة وقلوب مملوءة بالحقد، فدأبت طائفة منهم على تشويه صورة الإسلام لدى الأوربيين حتى لا يقبلون عليه "ولم يتركوا نقيصة ولا رذيلة إلا وألصقوها بالإسلام ورسوله وتاريخه ورجاله، من منطلق كراهيتهم للإسلام واعتقادهم بأنّه دين معادٍ للنصرانية"[3].

ومنهم من أكد هذه الحقيقة، أي حقيقة تشويه الإسلام وإلصاق الرذائل والنقائص به، فقد قال **رودي بارت**:"حقيقة إن العلماء ورجال اللاهوت في العصر الوسيط،كانوا يتصلون بالمصادر الأولى في تعرفهم على الإسلام وكانوا يتصلون على نطاق واسع، ولكن كل محاولة لتقييم هذه المصادر على نحو موضوعي نوعاً ما. كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل في أن هذا الدين المعادي للنصرانية لا يمكن أن يكون فيه خير. هكذا كان الناس لا يولون تصديقهم إلا لتلك المعلومات التي تتفق مع هذا الرأي المتخذ من قبل، وكانوا يتلقفون بينهم كل الأخبار التي تلوح بينهم إلى النبي العربي وإلى دين الإسلام[4].

وكان للمستشرقين أهداف جمة بعد الإصلاح الديني الذي جرى في أوروبا- فقد احتاج المصلحون إلى ما يساعدهم لدراسة تراثهم الديني، فلجئوا إلى التراث الشرقي، وقد اعتبر الأستاذ **محمد البهي**: "إن اهتمام المستشرقين كان منصباً على الدافع الديني وذلك أن الحروب الصليبية تركت في نفوس الأوروبيين فدفعت البروتستانت والكاثوليك إلى إعادة النظر في شرح كتبهم الدينية فاتجهوا إلى الدراسات العمرانية، التي دفعتهم على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم إلى العالم الإسلامي،كما كان همهم الطعن في الإسلام

---

[1]- علي محمد إسماعيل:" الاستشراق بين الحقيقة والخيال"، مدخل علمي لدراسة الاستشراق،دار الكلمة،ط3المنصورة، مصر/2000/ص28.

[2]- مثلاً كنيسة أيا صوفيا التي حولت إلى مسجد.

[3]- علي محمد إسماعيل:" الاستشراق بين الحقيقة والخيال"/ص28.

[4]- محمد حمدي زقزوق:" الاستشراق والخلفية الفكرية"دار المعارف، دط،1997/ ص32-33.

وتشويه حقائقه والتشكيك في قيمه للإثبات فضل اليهودية عليه،والادعاء بأنها هي المصدر الأول وقد انصب اهتمام المستشرقين لهذا الدافع بسبب ما تركته الفتوحات الإسلامية ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في نفوس الغربيين،من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله فاستغلوا هذا الجو وازدادوا نشاط في الدراسات الإسلامية.[1]

ب - **الدافع الإستعماري:**

شكّل المستشرقون رتلاً هاماً من أرتال الجيوش الأوربية،فقد سبقوا الحملات التي شنتها أوربا عقب النهضة الأوربية الحديثة بل وقبل ذلك، إذ شهدت الفترة الممتدة بين القرن الحادي عشر والقرن الرابع عشر غارات الصليبيين على الشرف الإسلامي فيما عرف تاريخياً بالحروب الصليبية، التي كانت في ظاهرها دينية، غايتها تخليص بيت المقدس من يد المسلمين،بينما كانت في حقيقتها سبيلاً للسيطرة على الشرق الإسلامي بما فيه من خيرات اقتصادية ومراكز حربية.[2]

وسرعان ما عادت جيوش الفرنجة تجر أذيال الخيبة بخفي حنين، فقد انكسرت جيوشها أمام جيش صلاح الدين الأيوبي،حينما راح الغرب يشد على أزره محاولاً السيطرة والاستيلاء على البلاد العربية والإسلامية بالغلبة وقوة السيف"ودبت أوربا دبيبا حول هذا العالم وجعلت تطوق شواطئ القارة الإفريقية من الغرب إلى أن بلغت شواطئ الهند،طوقتها من ثغور تحتلها ثم تنفذ من كل ثغر إلى بدن العالم الإسلامية شيء فشيئيا على حذر شديد وبلا ضجيج يزعج.[3]

لقد انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين،وهي حقيقتها حروب استعمارية،حينها لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب و بلاد الإسلام،فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها،ولما تم لهم الاستيلاء العسكري و السياسي قامت الحركة

---

[1]- علي إبراهيم النملة:" الاستشراق في الأدبيات العربية"، مركز الملك فيصل للبحوث و الدارسات الإسلامية،دط،1993/ص34- 35.

[2]- مصطفى خالدي وعمر فروج:" التبشير الاستعماري في البلاد العربية "، المكتبة العصرية، دط، صيدا، 1985/ ص183.

[3]- محمود محمد شاكر:"أباطيل و أشعار"، مطبعة المدني بالقاهرة،ط2،مصر،1970/ص 183.

الاستشراقية بإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وذلك عن طريق التشكيك في التراث والعقيدة والقيم الإنسانية فتفقد الثقة وترتمي في أحضان الغرب[1].

ج- **الدافع العلمي**: ويعد من أهم الدوافع التي ساهمت في:

✓ نقل الحضارة العربية الإسلامية والإطلاع عليها.

✓ رسم صورة العربي والمسلم في تصبح صورة نمطية، يعتمد عليها عند التعامل معه في مختلف اللقاءات، وخاصة أن العرب يحتلون جزءً هاماً من البحر الأبيض المتوسط بينما يحتل الغرب الجانب الآخر.

✓ ولقد أخذ هذا الدافع اتجاهين هما:

- **الدافع العلمي** الذي يقصد منه دراسة علوم الشرق الإسلامي في مختلف التخصصات العلمية ونقلها إلى الغرب لتنهض أوربا وتتقدم.

- **الدافع العلمي** الذي يقصد منه البحث العلم، ودراسة الإسلام وعلومه بتجرد عن الهوى ونزاهة عن التعصب[2].

وتحقيقاً للاتجاهين باشر المستشرقون عملهم على الكتب العربية: قراءة وشرحاً – وترجمة وتحقيقاً، فالكثير منهم يعترف أن الحضارة الإسلامية محرك للحضارة الأوربية الحديثة، فأوربا تدين للعرب وللحضارة العربية، وأن الدين في عنق أوربا وسائر القارات الأخرى للعرب كبيراً جداً، وكان يجب على أوربا أن تعترف لهذا الصنيع منذ زمن بعيد ولكن التعصب الديني واختلاف العقائد أعمى عيوننا وترك عليها غشاوة من أننا نقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة فلا نجد فيها إشارة لفضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة. اللّهم إلا هذا الإشارة العابرة إلى أن دور العرب لا يتعدى دور ساعي البريد الذي نقل إليهم التراث اليوناني[3].

ما يلاحظ على طبيعة هذه الكتب أنها كل العلوم والفلسفة و الآداب و الفنون، وخلال فترة النقل والتعامل مع المادة التراثية العربية الأساسية، كانت تتنازع نفسيه المستشرقين نوازع مختلفة تتخطفها الخلفيات الفكرية والمنطلقات العقيدة، ولكنّنا نجد من المستشرقين نفر قليل جداً أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب

---

[1]- مصطفى السباعي:" الاستشراق و المستشرقون (مالهم وما عليهم)"، دار الأوراق للنشر و التوزيع، ط1، بيروت، 1999 / ص22.

[2]- علي محمد إسماعيل:"الاستشراق بين الحقيقة و الخيال"/ص238.

[3]- زيغريد هونكه :" شمس العرب تسطع على الغرب"/ص أ – ب.

الإطلاع على الحضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنّهم لم يكونوا يعتمدون الدرس والتخريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين[1].

ومن أمثلة هؤلاء المستشرقين الألماني **يوهان راسيكه** (1716- 1774) الذي كان واحداً من علماء العربية في عصره، وأول مستشرق ألماني جدير بالذكر – كما يقول الدكتور **زقزوق** وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية في ألمانيا،ولكنّ عصره و معاصريه تجاهلوه، وحاربه رجال اللاهوت منتهية بالزندقة ولعل ذلك يرجع إلى موقفه الإيجابي من الإسلام، فقد امتدح الدين الإسلامي في كتاب له باللاتينية، ورفض وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب أو التضليل،أووصف دينه بأنه خرافات مضحكة كما كان سائد حينذاك.كما رفض تقسيم تاريخ العالم إلى تاريخ مقدس وتاريخ غير مقدس، ووضع العالم الإسلامي في قلب التاريخ العالمي، وفوق ذلك عبر عن آرائه بأعظم قدر من الصراحة غير مكترث بكل العواقب المترتبة على ذلك وقد جرّ عليه ذلك ويلات كثيرة وعاش طول حياته في ضائقة مالية مات بائساً مسلولاً وهو في الثامنة والخمسين من عمره.[2].

وهذا النموذج ضمّن الكثيرة التي وقفت موقف الباحث الذي ينشد الحقيقة، ونذكر أسماء لهؤلاء وقد أصابهم ما أصاب رايسكه من ويلات كالضائقة المالية ومضايقة رجال الدين ورجال السياسة،ومنهم المستشرقة الأسترالية المعاصرة تساريس وادي اللورد هيدلي – ايتيان دينيه – جون فيليب، والدكتور جرينيه الذي كان عضواً في مجلس النوّاب الفرنسي، وقد سئل عن سبب إسلامه فقال:"إنّني تتبعت الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحة،والطبيعية،والتي درستها في صغرى وأعلمها جيداً، فوجدت هذه الآيات مطبقة كل الإنطباقات على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأني أيقنت أن محمداً صلى الله عليه وسلم أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة من قبل أن يكون له معلم أو مدرس من البشر،وإن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيداً كما قارنت أيضاً لأسلم بلا شك، إن كان عاقل خالياً من الأعراض.[3]

---

[1]- المرجع نفسه/ ص 41.

[2]- محمد حمدي زقزوق:"الاستشراق و الخلفية الفكرية "/ ص 43.

[3]- علي جريشة ومحمد الزبيق:"أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي"/ص29.

وهناك مجموعة من المستشرفين اندفعت إلى الشرق (العالم الإسلامي) نتيجة للانبهار بالحضارة والتاريخ الإسلاميين والانبهار بالعقيدة الإسلامية التي بُنيت على التسامح مع الآخرين، الأمر الذي لا يتحقق في إطار الدين الواحد في المسيحية مما جعله يعرضون في علوم الإسلام وانتهى المقام بالكثير أن يخرجوا من مكانة الإستشراق ويصبح في عداد المسلمين والإيمان والانصراف عن الإستشراق وهؤلاء لم تكن غايتهم مضرة بالإسلام.[1]

كما توجد دوافع أخرى ليست بمثل أهمية الدوافع السابقة وكان لها أثر في تنشيط الاستشراف و هي:

د- **الدافع التجاري**: ليس من الغريب أن أولى العلاقات بين الشرق والغرب بدأت أساساً بطابع تجاري محض، حيث تكالبت أطماع الغرب اتجاه العرب، لما عرف عن هذا الأخير وفرة ثروات اقتصادية هامة، إضافة إلى الموقع الاستراتيجي الهام مما زاد بطش رغبة الغرب في انجاز مشاريع وعلاقات اقتصادية تمثلت مجملها في الشركات التجارية الأجنبية، التي عمدت إلى تشجيع و مساندة الحملات الاستشراقية، حيث أنشئت شركة الهند الشرقية البريطانية كلية (هيلي بيلي) من اجل دراسة اللغات الشرقية و كلية (غوردن) في السودان سنة 1903[2].

سخر هؤلاء المستشرقون جهوداً بالغة لدراسة حاضر ومستقبل المجتمعات العربية خاصة الجانب الاقتصادي منها. وفي هذا يقول إدوارد سعيد: " أن اتساع دائرة اهتمام المستشرقين بالبلاد الإسلامية من حيث حضارتها بعد أن كان الاهتمام فيما سبق موجه إلى ما في هذه المجتمعات، لقد انصبّ جزء كبيراً من دراسات المستشرقين على عادات وتقاليد وأنماط الاستهلاك وأذواق وحاجات هذه الناس اليومية مما تصح نتائجه النهائية للإفادة من الدراسات عن الجدوى الاقتصادية للمشروعات التي يمكن أن تقيمها الشركات المتعددة الجنسيات في البلاد الإسلامية"[3].

---

[1]- مصطفى السباعي:" الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)"/ ص26-72.

[2]- إسماعيل أحمد عمايرة: "المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية"، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، 2000/ص18.

[3]- كمال أبو ديب:"الاستشراق"،المجلة العربية للعلوم الإنسانية / العدد 24.21.

هـ- **الدافع السياسي:** حيث يوجد في كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى الدول العربية الإسلامية سكرتير أو ملحقاً ثقافياً يحسن الثقافة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والسياسة والصحافة ليتعرف على أفكارهم ويبث فيهم اتجاهاته السياسية[1].

[1]- علي إبراهيم نملة:"الاستشراق في الأدبيات العربية"/ص37-39.

IV. **مدارس الحركة الاستشراقية:** شكلت مدارس الحركة الاستشراقية موضوع بحث علمي، حيث تنوعت بحوث المستشرقين حول الدراسات الشرقية. فاتبعت خلال نشاطها العلمي منهجاً علمياً نحو الوضوح والموضوعية العلمية خاصة حينما حاولت هدم التراث الشرقي، فهذا لا يتماشى وطبيعة المنهج العلمي فلقد أحصى الأستاذ نجيب العقيقي في كتابه "المستشرقون" عشرين مدرسة استشراقية: فرنسا، إيطاليا، انجلترا، إسبانيا، البرتغال، النمسا، هولندا، ألمانيا، بولونيا، الدانمارك، روسيا، سويسرا، السويد، المجر، الولايات المتحدة الأمريكية، بلجيكا، تشيكوسلوفاكيا، فنلندا، رومانيا، يوغسلافيا.

غير أننا اكتفينا بذكر أهم المدارس الاستشراقية الكبيرة بحكم قدمها في ميدان العمل الاستشراقي وصلة هذه المدارس بالشرق من جهة واحتوائها على أكبر الكراسي للغات الشرقية التي اهتمت باللغة والأدب العربي من جهة ثانية.

1- **المدرسة الفرنسية:** تعد المدرسة الفرنسية من أهم المدارس الاستشراقية وبخاصة منذ إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1795م، والتي كان يترأسها المستشرق المشهور **سلفستر دي ساسي**، وقد عدّ هذا المستشرق عميداً للإستشراق الأوروبي في النصف الأول من القرن التاسع عشر دون منافس[1].

يقول السامرائي عن كتاب ساسي في قواعد اللغة العربية إنه "قد لوّن الإستشراق الأوروبي بصبغة فرنسية". أما الاهتمامات دي ساسي فقد تنوعت حيث شملت اللغة العربية وآدابها والتاريخ والفِرق والجغرافيا وهي فترة كما يقول السامرائي افتقدت إلى التخصص، حيث كان المستشرق بمجرد دخوله إلى هذا المجال يظنّ أنه يستطيع أن يكتب في كل ما يخص الإسلام والمسلمين ولكن هذا النمط استمر طويلاً بعد هذه الفترة حتى يومنا هذا[2].

نشأت صلات فرنسا بالشرق الأدنى منذ أن غزى العرب مقاطعات منها ووصولهم إلى بواتيه "poitiers". واستمرت في محاولة تعاون الرشيد وشارلمان عل الخلافة الأموية في قرطبة والإمبراطورية البيزنطية والقسطنطينية وقيام الحروب السياسية 1096-1291، وإنشاء طرق التجارة وتبادل السفراء وتوالي

---

[1]- للمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى كتاب:" نقد الخطاب الاستشراقي"،لساسي سالم الحاج/ ص107. وكتاب "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر.لأحمد سمايلوفيش/ ص222.

[2]- ساسي سالم الحاج: "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر لأحمد سمايلوفيتش"/ ص 222.

الرحلات واحتلال شمال إفريقيا 1830-1962م وحملة نابليون على مصر 1798-1801م، وفتح قناة السويس 1956م، والانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان 1920-1947م.

ونشط الإستشراق الفرنسي قبل الحملة الفرنسية على مصر وبعدها، فقد اصطحب نابليون معه عدداً كبيراً من العلماء في المجالات المختلفة، ليجعل للمسلمين وعلمائهم ينبهرون بالحضارة الغربية، وحتى يزداد تعمقاً في دراسة أوضاع المجتمعات الإسلامية، وقد صدر عن هذه الحملة كتاباً ضخماً بعنوان: "وصف مصر".

وقد استمر نفوذ الإستشراق الفرنسي بعد وصول محمد علي إلى السلطة، فبدأت البعثات العلمية في عهده وكانت تحت إشراف المستشرق الفرنسي "جومار"، وأرسلت تركيا وإيران والمغرب الأقصى بعثات مماثلة، وفي ذلك يقول: الأستاذ محمد الصباغ عن الابتعاث ومخاطره أن السبب في أن أولى البعثات العلمية قد توجهت إلى فرنسا، أنها كانت أول الدول الأوروبية التي اتخذت العلمانية منهج حياة وأن الفساد الأخلاقي كان ينتشر فيها أكثر من غيرها من الدول الأوروبية، ولقد كانت الصلات متعددة ومتنوعة اختلطت فيها الحرب بالسلم والتجارة بالثقافة جميعاً[1].

بعض أعلام المستشرقين الفرنسيين:

1- ***سلفيستر دي ساسي***: sy Sylvester de so (1798-1838م): ولد في باريس 1798م وتعلم اللاتينية واليونانية ثم درس على بعض القساوسة منهم القس مور والأب بارتارو، ثم درس العربية والفارسية والتركية. عمل في نشر المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية، وكتب العديد من البحوث حول العرب وآدابهم وحقق عدداً من المخطوطات.

عيّن أستاذاً للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحية عام 1799م. وأعدّ كتاباً في النحو تُرجم إلى الإنجليزية والألمانية والدانماركية، وأصبح مديراً لهذه المدرسة عام 1833م. وعندما تأسست الجمعية الأسيوية انتخب رئيساً لها عام 1822م.

ومن أبرز اهتماماته "الدروز" حيث ألف كتاباً حولهم في جزأين، أصبحت فرنسا في عهده قبلة المستشرقين مع جميع أنحاء القارة الأوروبية، ويقول أحد الباحثين أن الإستشراق اصطبغ بالصبغة الفرنسية في

[1]- نجيب العقيقي:" المستشرقون"،/ص01.

عصره. عمل دي ساسي مع الحكومة الفرنسية وهو الذي ترجم البيانات التي نشرت عند احتلال الجزائر، وعند احتلال مصر من قبل حملة نابليون عام 1797م ومما كتبه:

- مقامات الحريري: حققها وطبعها لأول مرة دي ساسي على حسابه الخاص في المطبعة الإمبراطورية 1812م، وروّدها بشرح بالعربية، ولا تزال هذه النشرة النقدية الوحيدة لهذا الكتاب.
- كليلة ودمنة: تحقيق 1816م.
- ترجمة فصول من كتاب "روضة الصفاء" تأليف ميرخاوند بن برهان الدين خاوند شاه.

2- ***أرنست رينان***: (1823-1884م) رحل إلى الشرق، وله تاريخ اللغات السامية وكتاب عن ابن رشد.

3- ***جورج مارسه***: (1876-1962م) مختص بالآثار الإسلامية والفن الإسلامي وله فيها مؤلفات عديدة.

4- ***دي سلان*** De selene(1879م): درس ابن خلدون ونشر ما قدّمه إلى الفرنسية.

5- ***ليفي فروفنسال*** (1882-1894م): عاش في الجزائر وعيّن أستاذاً في كلية الآداب بها اختصّ بتاريخ الأندلس وآدابه، وله عدّة مؤلفات.

6- ***انطوان جالان*** Antoine Galland (1646-1715م): ولد في (رولدي)، درس العربية في معهد فرنسا، حضر دروس اللغات الشرقية في كوليج دي فرانس، وسافر إلى اسطنبول للعمل بالسفارة وهناك أتقن معارفه عن الشرق، وعاد بمجموعة نفيسة من النقود القديمة[1]، وبعد أن أصاب منها شيئاً أنتدب أستاذاً للعربية في معهد فرنسا سنة 1807م وانتخب عضواً في مجامع علمية كثيرة.

من بين آثاره: كلمات مأثورة عن الشرقيين (باريس 1694م) أول مترجم لألف ليلة وليلة وأمثال لقمان (1704-1708م).

7- ***مكسيم رودنسون*** Mexim Rodinson (1919م): ولد في باريس في 26 يناير1919م. وحصل على الدكتوراه في الآداب ثم على شهادة من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية والمدرسة العلمية

(1)- عبد الحميد حميدان صالح:"طبقات المستشرقين"،مكتبة مدبولي، دط – د ت / ص22.

العليا، تولى العديد من المناصب العلمية في كل من سوريا ولبنان في المعاهد التابعة للحكومة الفرنسية هناك، تولى منصب مدير الدراسات في المدرسة العلمية للدراسات العليا قسم العلوم التاريخية واللغوية ثم محاضراً فيها بقسم العلوم الاقتصادية والاجتماعية نال العديد من الأوسمة والجوائز من الجهات العلمية الفرنسية والأوروبية.

له العديد من المؤلفات منها: (الإسلام والرأسمالية) و(جاذبية الإسلام) و(محمد) و(إسرائيل والرفض العربي)، وله العديد من الدراسات التاريخية والتاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي.

8- ***جاك بيرك*** Jacque Berque (1910-1999م): ولد بارك في الجزائر عام 1910م. ودرس في السربون ثم عمل بعد ذلك في المغرب وقد لاحظ الصلة الوثيقة التي تربط بين الفرنسيين والعرب في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، كما كان لأدائه للخدمة العسكرية الفضل في الإطلاع على الجانب الآخر من الحياة في المغرب مما أفاده كثيراً في دراسته لعلم الاجتماع. وتعدّ رسالته التي تناول فيها الأسس الاجتماعية في أطلس العليا خطوة هامة بالنسبة للتطور الفكري في مجال الدراسات الشرقية، فقد اتبع فيها منهجاً واضحاً وتوصل إلى نتائج ذات أثر فعّال ليس فقط على الدارسين والباحثين، ولكن أيضاً على عامة الشعب إذ بدأت أوروبا كلها تهتم بشؤون العرب وحياتهم.

وقد غادر بارك المغرب متوجهاً إلى القاهرة في أغسطس عام 1996م، سافر إلى فرنسا شغل كرسي التاريخ الاجتماعي الإسلام المعاصر في كوليج دي فرانس College De France طوال ربع القرن وكانت له علاقات وطيدة مع المثقفين العرب في المغرب، وظلّ يعمل بعد تقاعده فأصدر أهم إنتاجه وهو ترجمة معاني القرآن الكريم بعنوان "القرآن".

ولقد نجح بارك في خلق جيل جديد يعنى بالدراسات الشرقية، وقد واصل عمله في الكتابة والسفر والمراسلة دون ملل في نفس الوقت الذي كان يقوم فيه بترجمة معاني القرآن الكريم، وهذا التتويج النهائي لأعماله في ختام حياته، حيث وافاه الأجل عام 1999م من أشهر أعماله:

- المغرب بين حربين 1962م.
- العرب في الأمس وحتى الغد 1969م.

- مصر الاستعمار والثور 1967م[1].

9- *غاوبار*(1823-1884م): له ملاحظات على "ديوان بهاء الدين زهير" كما ألف كتاب في علم العروض.

10- *كانرميراتيان* Quanremeretinne (1782-1897م): أحد تلاميذه دي ساسي، نشر مقدمة ابن خلدون ومنتخبات أمثال الميداني وكتاب الروضتين.

2- **المدرسة الإنجليزية:** كان الإستشراق الإنجليزي من أوثق وأوسع ما عرفته أوروبا من إستشراق منذ اتصال بريطانيا بالشرقيين الأوسط والأقصى اتصالاً ثقافياً وعسكرياً واقتصادياً واستعمارياً في الأندلس والقدس والصين والهند والعراق ومصر وفلسطين.

لقد طلب الروّاد الإنجليز الثقافة العربية على طريقتين:

أ – طريق المتضلعين أمثال الفيلسوف الإسباني إبراهيم بن عزار من مدينة طليطلة الذي وفد على لندن ودرس فيها (1158-1159).

ب – طريق العلماء: الذين قصدوا صقلية والأندلس وأخذوا الثقافة العربية على أعلامها في مدارسها منهم: "توماس براون" فتثقفوا بالثقافة العربية وترجموا الكثير منها وشرحوا وصنّفوا[2].

وفي خلال القرن الثامن والتاسع عشر اتخذ الإستشراق الانجليزي طابعه العلمي عندما توفرت عند المستشرقين أسبابه وتنوعت أغراضه وانقطعوا إليه وأخلصوا فيه.

وقد تم إنشاء أول أقسام اللغة العربية في الجامعات البريطانية في عامي 1632م- 1636م في جامعتي كمبردج وأكسفورد على التوالي، وكان يغلب على الدراسات العربية الإسلامية الطابع الفردي. ولكن في هذه الأثناء كانت شركة الهند الشرقية تعمل جاهدة على إكمال احتلالها للهند ثم تسليمها للحكومة البريطانية. وقد قامت الشركة بإنشاء مراكز استشراقية في الهند لتدريب موظفين يستطيعون التعامل مع أهل البلد، وأنشئت كذلك جمعيات استشراقية مثل الجمعية البنغالية في أواخر القرن التاسع عشر.

---

(1)- المرجع السابق/ ص22.

(2) – نجيب العقيقي:"المستشرقون"/ص120.

ثم انتشرت المراكز الاستشراقية في بريطانيا وظلت العاصمة لندن خالية من مثل هذه المركز في اللورد كيرزن في إحدى جلسات البرلمان البريطاني بضرورة إنشاء مثل هذا المركز وأنه من المكونات الضرورية للإمبراطورية، وتأسست مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية عام 1916م. وانتقل إليه بعض المستشرقين الكبار من أمثال **توماس آرنولد وألفرد خيوم** وغيرهما، واستمرت المدرسة في النمو والازدهار حتى أصبحت المركز الاستشراقي الأول في بريطانيا، بل تنافس أكبر المراكز الاستشراقية في العالم.

واحتاجت الحكومة البريطانية إلى إعادة النظر في أوضاع الدراسات العربية والإسلامية بعد الحرب العالمية الثانية فكلفت لجنة برئاسة **يسر وليام هايتر** عام 1961م للقيام بهذا العمل. وقدمت مؤسسة **روكفللر** دعماً مالياً لهذه اللجنة لزيادة عشر جامعات أمريكية وجامعتين كنديتين للإفادة من التجربة الأمريكية، ومقابلات مع المسئولين عن الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات البريطانية. وجاءت التوصيات من جديد لدعم هذه الدراسات والإفادة من الخبرة الأمريكية.

بعض أعمال المستشرقين:

1- ***تشارلس جيمس ليا*** (1840- 1920): تخرج من كمبريدج. وعمل في الهند 1867-1868م، درس العربية وأتقنها، وعني بشعرها الجاهلي عناية خاصة، وكان أحد رؤساء تحرير مجلة الجمعية الملكية الأسيوية، دمج كثيراً من الفصول الشرقية في دائرة المعارف البريطانية.

2- ***وليام بدول*** (1916- 1932) William Bedwel : عمل راعياً لكنيسة إبليبرج وجمع إلى عمله الكنسي دراساته وبحوثه في اللغة العربية، ظهرت له كتابات امتلأت بالحقد على الإسلام وهي حول الرسول صلى الله عليه وسلم.

3- ***جورج سيل*** (1697- 1736): ولد في لندن والتحق في البداية بالتعليم اللاهوتي. تعلم اللغة العربية على يد معلم من سوريا وكان يتقن اللغة العبرية أيضاً.

ومن أبرز أعماله ترجمة معاني القرآن الكريم التي قدم لها بمقدمة احتوت على كثير من الافتراءات والشبهات. ومن الغريب يقول عنه عبد الرحمن بدوي "ترجمة سيل واضحة ومحكمة معاً، ولهذا راجت رواجاً عظيماً طوال القرن الثامن عشر، إذ عنها ترجم القرآن إلى الألمانية عام 1746م".

ويقول في موضع آخر: "وكان سيل منصفاً للإسلام بريئاً من تعصب المبشرين المسيحيين وأحكامهم رغم تدينه المسيحي".

4- ***ديفيد صموئيل مرجليوث*** (1898- 1940): ولد في لندن 17 سبتمبر 1898 وتوفي في سنة 1940 وهو أكبر أولاد أبيه **جزقيل مرجليوث** الذي كان مبشراً، أما أمه فهي "حيي" ابنة قسّيس يدعى بابن "سمث"[1].

درس في ونشستر والتحق بجامعة "أكسفورد" وحصل على الماجستير والدكتوراه في الآداب، واشتغل أستاذاً في تدريس اللغة العربية منذ 1889م، ومنح لقب عضو ورفيع في المجتمع البريطاني 1915. كما عيّن مدرساً للغات الشرقية في جامعة لندن 1913م ومحاضراً في جامعة "هيبر" في السنة ذاتها، كما تقلّد منصب أستاذ خاص في تاريخ الشرق في جامعة "البنجاب" بين (1916-1917).

وتكريماً له عيّن عضواً فخرياً في المجتمع العلمي بدمشق 1912م، كما كان عضواً في كثير الجمعيات والمجامع العلمية في بلاده وأقطار أخرى.

ومن آثاره: أحصى له "العقيقي" ثمانية وستين أثراً منها الكتب التي نشرها مثل كتاب الشعر لأرسطو 1911م، ومعجم الأنباء "لياقوت ط1. 1907-1925م، وديوان سبط بن التعاويذي"، كما وضع كتاب "الأدوار الأولى للإسلام" 1914م بالاشتراك مع الأستاذ "أمدروز". وحديث "مائدة مع قافي عراقي" سنة 1922م. وهوميروس وأرسطو 1924م.

وترجم الجزء الرابع من تاريخ التمدن لـــ" جورجي زيدان 1907م"، وكذلك المناظرة بين يونس الغائي وأبي سعيد السيرافي لأبي حيان التوحيدي عام 1905م، والشعر المحمول 1906-1907م، وأصّل الشعر العربي 1911م، وأوّل الشعر العربي 1925م. كما نشر في كثير من المجلات أبحاثاً في التراث العربي الإسلامي منها "الفكاهة عند كتّاب العرب 1927م، وترجمة "تلبيس إبليس" لابن الجوزي 1939-1948م[2].

5- ***توماس وولكر أرنولد*** Sir Thomas Walker Arnold (1864-1930م): بدأ حياته العلمية في جامعة كامبردج حيث أظهر حبه للغات فتعلم العربية وانتقل للعمل باحثاً في جامعة (عليكرا) في الهند، حيث أمضى هناك عشر سنوات ألف خلالها كتابه المشهور "الدعوة إلى الإسلام"، ثم عمل أستاذاً

---

(1)- محمد مصطفى هداوة:" مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، دط، ج1، 1989/ ص10.

(2)- نجيب العقيقي:"المستشرقون"/ص 518-520.

للفلسفة في جامعة لاهور. وفي عام 1904م عاد في الوقت نفسه أستاذاً في جامعة لندن. واختير عام 1909م ليكون مشرفاً عاماً على طلاب الهنود في بريطانيا. ومن المهام العلمية التي شارك فيها عضوية هيئة تحرير الموسوعة الإسلامية التي صدرت بهولندا في طبعتها الأولى، والتحق بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن بعد تأسيسها عام 1912م. عمل أستاذاً زائراً في الجامعة المصرية عام 1930م، وله عدة مؤلفات سوى كتابه الدعوة إلى الإسلام ومنها (الخلافة) وكتاب حول العقيدة الإسلامية، وشارك في تحرير كتاب تراث الإسلام في طبعته الأولى، بالإضافة إلى العديد من البحوث في الفنون الإسلامية.

6- ***سير هاملتون جيب*** Sir Hamilton Gibb (1899-1971م): ولد هاملتون جيب في الإسكندرية في 2 يناير 1899م. انتقل إلى اسكتلندا وهو في الخامسة من عمره للدراسة هناك، ولكنه كان يمضي الصيف مع والدته في الإسكندرية. التحق بجامعة أدنبرة لدراسة اللغات السامية. عمل محاضراً في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن عام 1921م، وتدرج في المناصب الأكاديمية حتى أصبح أستاذاً للغة العربية عام 1937م، وانتخب لشغل منصب كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد. انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد بعد أن عمل أستاذاً للغة العربية في الجامعة.

بالإضافة إلى اهتمامه اللغوي فقد أضاف إلى ذلك الاهتمام بتاريخ الإسلام وانتشاره وقد تأثر بالمستشرقين الكبار أمثال توماس أرنولد وغيره[1].

من أبرز إنتاج جيب (الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى) سنة 1923م، ودراسات في الأدب العربي المعاصر وكتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) وشارك في تأليف (إلى أين يتجه الإسلام).

وقد انتقل جيب من دراسة اللغة والآداب والتاريخ إلى دراسة العالم الإسلامي المعاصر وهو ما التفت إليه الإستشراق الأمريكي حينما أنشأ الدراسات الإقليمية أو دراسات المناطق وله كتاب بعنوان (المحمدية). ثم أعاد نشره بعنوان (الإسلام). وله كتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي سنة 1926م أصدر كتيّباً بعنوان "الأدب العربي" وهو كتيب صغير سطحي تافه قصد به إلى القراء الإنجليز، وقد أعاد طبعه منقحاً في 1963.

---

[1]- عبد الحميد حمدان صالح:" طبقات المستشرقين"/ ص 111.

وفي 1927م بدأ سلسلة مقالات في الأدب العربي المعاصر نشرها في مضطبة مدرسة الدراسات الشرقية Bsos، أولها مقالة عن الأدب العربي في القرن التاسع عشر..[1].

7_ ***مونتغمري وات*** Montgomery Watt (1906): ولد في كريس فايت في 14 مارس 1909م، ولده القيس أندرو وات. درس في كل من أكاديمية لارخ 1914_1919 في كلية جورج واتسون بإدنيرة وجامعة أدنبره 1927_1930م، وكلية باليول بأكسفورد 1930_1933م وجامعة جينا بألمانيا 1933. وجامعة أكسفورد وجامعة أدنبره في الفترة من 1938 إلى 1939م ومن 1940 إلى 1943 على التوالي، عمل راعياً لعدة كنائس في لندن وفي **أديرة**، ومتخصص في الإسلام لدى القس الإنجليكاني في القدس. وبعد تقاعده عاد إلى العمل في المناصب الدينية.

عمل رئيسا لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة ادنيرة في الفترة 1947_1979، نال درجة الأستاذية عام 1964، دُعي للعمل أستاذاً زائراً في كل من الجامعات الآتية: جامعة تورنتو 1963و1978، وكلية فرنسا في باريس عام 1970، وجامعة جورجتاون بواشنطن عام 1978_1979.

مستشرق معاصر بريطاني الأصل، تركزت اهتماماته الأساسية في مجال السيرة النبوية، عمل عميداً لقسم الدراسات العربية في جامعة إنبرة. من مؤلفاته: الجبر والاختيار في الإسلام 1948، محمد بمكة 1953، محمد بالمدينة 1956، محمد نبينا ورجل دولة 1961، الوحي الإسلامي في العالم الحديث 1961، الفكرة التكوينية للفكر الإسلامي أدنبرة 1973، عوامل انتشار الإسلام 1961، العظمة التي كان اسمها الإسلام لندن 1974، وله من الدراسات في المجالات الاستشراقية[2].

8- ***آرثر جون آربيري*** Arthur John Arberry: 1905-1969م

ولد في 12 مايو 1905م في مدينة بورتسموث بجنوب بريطانيا، التحق بجامعة كامبريدج لدراسة اللغات الكلاسيكية اللاتنية واليونانية، شجعه أحد أساتذته وهو **منس** على دراسة العربية والفارسية، ارتحل إلى مصر لمواصلة دراسته للغة العربية، وعاد إلى مصر ليعمل في كلية الآداب رئيساً لقسم الدراسات القديمة (اليونانية

---

(1) - عبد الرحمن بدوي:"موسوعة المستشرقين" / 106.

(2)- عبد الله محمد الأمين:"الاستشراق في السيرة النبوية". دراسة تاريخية لآراء (بروكلمان- فلهاوزن) ،مقارنة بالرؤية الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا،ط1، الو. م. أ،1997م/ ص9.

واللاتنية)، وزار فلسطين وسوريا ولبنان واهتم بالأدب العربي فترجم مسرحية مجنون ليلى لأحمد شوقي، كما حقق كتاب "التعرف إلى أهل التصوف". وواصل اهتمامه بالتصوف وذلك بنشره كتاب "المواقف والمخاطبات" للنفري وترجمه إلى الإنجليزية.

عمل آربيري مع وزارة الحرب البريطانية في أثناء الحرب العالمية الثانية مهتماً بشؤون الإعلام والرقابة البريدية، وأصدر كتابه (المستشرقون البريطانيون) سنة 1943، تولى منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية، ثم انتقل إلى جامعة كمبريدج ليحتل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في هذه الجامعة.

ولعل من أبرز جهوده ترجمته لمعاني القرآن الكريم، حيث أصدر أولاً مختارات من بعض آيات القرآن الكريم مع مقدمة طويلة ثم أكمل الترجمة أصدرها عام 1955م[1].

9- ***إدواردلين***: يعد أحذ أكبر المستشرقين الانجليز صاحب مؤلف (وصف مصر) من خلال عاداتها وأخلاقها، كما نشر مؤلفه معجم باللغة العربية.

10- ***بارزون كاردينو***: إنجليزي معاصر، اشتهر بالتعصب ضد الإسلام، وحاضر في جامعات إنجلترا وأمريكا، وتغلب على كتاباته وآرائه الروح التبشيرية، ومن كتبه "الإسلام". ومن المؤسف أنه تخرج على يديه الكثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية في بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات.

11-***رينولدالين ينكولس***: 1868-1945: وهو من أشهر المستشرقين ألف في تاريخ الأدب العربي ودراسات في الشعر الإسلامي.

12- ***وليام رايت*** 1889-1930: يعد المؤسس الأول لجامعة كامبريدج، درس اللغة الفصحى في جامعة "سانت أندوره"، كان محباً للدراسات الشرقية وفي عام 1892 ترجم كتاب رحلة ابن جبير وعمره لا يتجاوز 22سنة، كما عمل على نشر كتاب الكامل للمبرد وغيرها من الكتب القديمة.

3/ **المدرسة الروسية**: كان الإستشراق قوياً في روسيا منذ عهد بعيد، حيث تعود الصلات بين روسيا والعالم الإسلامي إلى زمن الدولة العباسية. فقد تبادلت الدولة الإسلامية السفارات مع روسيا، ولما ضمت

---

[1]- عبد الحميد حمدان صالح:"طبقات المستشرقين"/ ص84.

روسيا إليها بعض المناطق الإسلامية ازداد الاهتمام بالإسلام والعالم الإسلامي. أفادت روسيا من الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا وبخاصة في فرنسا، حيث أوفدت روسيا بعض الباحثين للدراسة في مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس.

قوي الاهتمام بالاستشراق في روسيا مع بداية القرن 19م حينما أنشأت بعض الجامعات الروسية كراس للغة العربية والإسلام، ومن هذه الجامعات قازان وجامعة موسكو وجامعة بطرسبرج وكلية لازاريف وغيرها.

مصادر الاستعراب الروسي: لقد استقى الاستعراب الروسي معرفته من خلال مصادر عديدة تفاوتت في أهميتها وزمانها، ويمكن القول أن هذه المصادر كانت:

أ- التجار والرحالة والحجاج الوافدين لبيت المقدس.

ب- المعرفة المباشرة للشعوب الإسلامية الواقعة ضمن الدول الروسية.

ج- العلماء الباحثين في الروس والعرب على حد السواء، الذين رحلوا إلى البلاد العربية أو العرب الذين قدموا إلى روسيا لأسباب مختلفة منها السياسية ومنها العلمية.

د- المخطوطات التي انتقلت إلى خزائن المكتبات في روسيا والتي كانت تمثل التاريخ الحضاري للثقافة الإسلامية.

ذ- العلاقات بين الكنيسة الروسية الأرثوذكسية مع الكنائس الأرثوذكسية في الشرق العربي(فلسطين ولبنان) وغيرها، ووجود بعض المدارس الروسية المرتبطة مع هذه الكنائس وإن كان ذلك بنسبة قليلة قياساً للحضور الأوروبي الغربي التبشيري في البلاد العربية الإسلامية[1].

بعض أعلام الاستشراق الروسي:

1- **بارتولد** Barthold1869-1930: درس التاريخ الإسلامي في جامعة بطرسبورج، وعمل فيها أستاذ التاريخ الشرق الإسلامي، اهتم بمصادر التاريخ الإسلامي العربي، كما اهتم بدراسة ابن خلدون ونظريته في الحكم.

[1]- فاطمة بن مفتاح:"إضاءات على الاستشراق الروسي"، إتحاد كتاب العرب، دط، دمشق، 2000م/ ص10.

انتخب عضواً في مجمع العلوم الروسي ورئيساً للجنة المستشرقين، له كتابات كثيرة في مجال التاريخ الإسلامي، وقد كتب عن عمر ابن الخطاب، ومن بين آثاره كتاب "تركستان عند غزو المغول لها" في مجلدين الأول نصوص من المصادر العربية، والثاني دراسات بطرسبرج 1889-1909م وخليفة وسلطان، وتاريخ دراسة الشرق في أوروبا وروسيا 1911م، وحضارة الإسلام 1918م، تاريخ تركستان 1922م[1].

2- ***إيفا نوف*** Ivanov (1886-1970): اهتم بدراسة الإسماعيلية، ومن آثاره المخطوطات الإسلامية في المتحف الأسيوي، وثائق جديدة لدراسة الحجاج وعقيدة الفاطميين[2].

3- **كريمسكي** krymsky (1871-1941م): درس في جامعة موسكو في الفترة من 1892 إلى 1898م اللغات السلافية والعربية والفارسية، عاش في سوريا في الفترة من 1896- 1898م. عمل أستاذاً للعربية وآدابها في كلية لازاريف، وأستاذاً للعربية في قازنا من 1898 إلى 1918م، تولى منصب سكرتير مجمع العلوم الأوكراني.

وترأس قسم الدراسات العليا في خاكوف بعد الثورة البلشفية 1917م، ومن آثاره العالم الإسلامي ومستقبله 1889م، تاريخ الإسلام في جزأين 1904م، والأدب العربي الحديث في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر موسكو 1906م[3].

4- **شميت** Schmidt (1871-1939م): تلقى تعليمه على يد المستشرقَين روزين وجولد زيهر، تخصص في دراسة اللغة العربية والتاريخ الإسلامي، عمل أستاذاً في جامعة بطرسبرج مدة عشرين سنة ثم انتقل إلى طشقند عام 1920م ليؤسس جامعة فيها، وكان أول رئيس لها.

ومن آثاره: تاريخ الإسلام، والنبي صلى الله عليه وسلم، ومحاولة التقريب بين السنة والشيعة، فهرس المخطوطات العربية في طشقند، والفارسية عاش في سوريا في الفترة من 1896 إلى 1898م.

---

(1)- نجيب العقيقي:"المستشرقون"/ ص79.

(2)- المرجع السابق/ص 92-93.

(3)- المرجع نفسه/ص81.

عمل أستاذاً للعربية وآدابها في كلية لازايف وأستاذاً للعربية في قازنا من 1898 إلى 1898م. وتولى منصب سكرتير مجمع العلوم الأوكراني وترأس قسم الدراسات العليا في خاكوف بعد الثورة البلشفية 1917م.

ومن آثاره: العالم الإسلامي ومستقبله 1889م، تاريخ الإسلام في جزأين 1904م، والأدب العربي الحديث في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر 1906م[1].

4- **المدرسة الهولندية**: لقد اهتم المستشرقون الهولنديون باللغة العربية ومعاجمها، كما اهتموا بتحقيق النصوص العربية، ومما يميز الإستشراق الهولندي وجود مؤسسة برل، التي طباعة الموسوعة الإسلامية ونشرها في طبعتها الأولى والثانية، كما تقوم هذه المؤسسة بطباعة كثير من الكتب حول الإسلام والمسلمين.

ولهولندا مركز للبحوث والدراسات العربية والإسلامية في مصر، وقد تولت جامعة ليدن تنظيم مؤتمر عالمي حول الإسلام في القرن الواحد والعشرين في الفترة من 3-7يونيو 1996م بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية الأندنوسية، وحضره مائة وعشرون باحثا من أنحاء العالم، وقد بحث المؤتمرون أوضاع العالم الإسلامي في القرن القادم من خلال ثلاثة محاور: الإسلام والمجتمع الدولي والتنمية. وقد عقد المؤتمر الثاني في مصر وكان طابعه رسمياً أكثر منه عالمياً[2].

بعض أعلام الاستشراق الهولندي:

1- *رايهارت دوزي* Rienhart Dozy(1820-1883م):

ولد في 21 فبراير 1920م في مدينة ليدن، بدأ دراسة العربية في المرحلة الثانوية وواصل هذه الدراسة في الجامعة، حصل على الدكتوراه عام 1881م عن بحثه "أخبار بني عباد عند الكتاب العرب"، اهتم بالمخطوطات العربية وبخاصة كتاب "الذخيرة" لابن سيام وغيره من الكتب، واهتم بتاريخ المسلمين في الأندلس وأبرز كتبه "تاريخ المسلمين في إسبانيا" المكون من عدة مجلدات، كما ترجم كتاب "بني زيان في تلمسان"

---

(1) - نجيب العقيقي:"المستشرقون"/ ص81-80. (بتصرف)

(2)- محمد تاج:"المنظور الاستشراقي في دراسة الأدب العربي"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، الأستاذ المشرف:أ.د: محمد عباس، تلمسان،2007-2008م/ ص60.

وكان مخطوطاً وزودت بتعليقات، ونشر الترجمة مع تعليقاتها في عدد من المجلة الآسيوية "JA"(مايوو يونيو 1844م)، كما أصدر عدة نصوص ودراسات هي:

- البيان المغرب "لابن عذارى" محققاً لأول مرة مع مقدمة وتعليقات ومعجم في جزأين ليدن (1848-1851م).

- أبحاث في التاريخ السياسي والأدبي لإسبانيا خلال العصر الوسيط "ج1 1849م (ليدن، بريل)، وأعاد طبعه مرة ثانية في مجلدين 1860م مع تعديلات هامة.

- معجم الألفاظ الأسبانية والبرتغالية المأخوذة من اللغة العربية (ليدن بريل 1869م)، أما كتابه لعظيم الثاني فهو تكملة أو ملحق المعاجم العربية في جزأين[1].

2- ***سنوك هورخرونيه*** (1897-1936م):

ولد في 8 فبراير 1897م، درس اللاهوت ثم بدأ دراسة العربية والإسلام على يد المستشرق دي خويه، ودرس كذلك على يد مستشرقين آخرين منهم المستشرق الألماني نولدكه، كانت رسالته للدكتوراه حول الحج إلى مكة المكرمة عام 1880م، عمل مدرساً في معهد تكوين الموظفين في الهند الشرقية (اندونيسيا)، أعلن إسلامه وتسمى باسم عبد الغفار وسافر إلى مكة المكرمة وأمضى فيها ستة أشهر ونصف، تعرف خلال هذه الفترة على العديد من الشخصيات في مكة، وبخاصة الذين تعود أصولهم إلى الجزر الاندونيسية، جمع مادة كتابه عن مكة المكرمة.

3- ***أرنت فنسنك*** Wenoink Arnet Jan (1882-1939م):

تتلمذ على يد المستشرق هوتسمان، ودي خويه، وسنوك مورخوونيه، وسخاو. حصل على الدكتوراه في بحثه (محمد واليهود في المدينة) عام 1908م، بدأ في عمل معجم مفهرس لألفاظ الحديث الشريف مستعيناً بعدد كبير من الباحثين، وتمويل من أكاديمية العلوم في أمستردام ومؤسسات هولندية وأوروبية أخرى، وأصر

---

[1]- محمد تاج:"المنظور الاستشراقي في دراسة الأدب العربي"،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، الأستاذ المشرف: أ.د:محمد عباس،2007-2008م/ص61.

كتاباً في فهرسة الحديث ترجمه فؤاد عبد الباقي بعنوان "مفتاح كنوز السنة"، أشرف على طباعة كتابات سنوك مورخرونيه في ستة مجلدات. وله مؤلفات عديدة منها كتاب في "العقيدة الإسلامية وتطورها التاريخي".

من مؤلفاته:

- العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي"باللغة الإنجليزية".

- فكر الغزالي.

- أساطير القديسين الشرقيين[1].

5- **المدرسة الإسبانية**: نشأ الإستشراق الإسباني في أحضان حركة عدائية لكل ما هو عربي ومسلم، وكان هدفها التحقير والانتقام والتشويه، وقد وصف المستعرب الإسباني خوان غويتسولو في كتابه "في الإستشراق الإسباني" نماذج من هذا النوع، حيث يكتبون عن الإسلام والمسلمين بقوله: إنهم "إنما يكتبون ويتصرفون وينطقون باسم المسيحية في مواجهة حضارة متدينة، وفي أفضل الأحوال فإن استحضار الماضي المجيد الذي عرفه العالم الإسلامي يدفعهم إلى التفجع على نحو متزحلق على الانحطاط الحالي.

ووصف غويتسولو دراسات المستشرقين الإسبان للغات الإسلامية بأنهم يدرسونها كما لو كانت "لغات حضارات منقرضة ومقطوعة عن اللغات الحالية التي هي وريثها الشرعي، حاكمين عليها بذلك بأن تشكل عدماً أو ما هو أقل من العدم".

ولقد اختلط الدافع الديني الحاقد بدافع استعماري سياسي، حينما بدأت حركات الاحتلال الأوروبي للعالم الإسلامي، وطمعت إسبانيا في المناطق المجاورة لها، فجندت مستشرقيها لإعداد الدراسات لمعرفة مواصفات السكان وطبائعهم وتجارتهم وزراعتهم، ومعرفة اللغات واللهجات المحلية.

وقد أنشأت الحكومة الإسبانية العديد من المراكز لتعليم العربية العامية والمغربية، وقد تجاوزت خمسين مدارس.

---

[1]- عبد الرحمن بدوي،"موسوعة المستشرقين"/ ص227.

وما تزال إسبانيا تحتفظ بالكثير من المخطوطات العربية في مكتباتها الكبرى كمكتبة الأسكوريال ومكتبة مدريد الوطنية ومكتبة جمعية الأبحاث الوطنية[1].

بعض أعلام الاستشراق الإسباني:

1- ***ميغيل آسين بلاثيوس*** (1871-1944م):

ولد في 5 يوليو 1871م بمدينة سرقسطة، والتحق بكلية الآداب بجامعتها، بالإضافة إلى دراسته في المعهد المجمعي فتخرج فيها قسيساً درس اللغة العربية على يد المستشرق ربيرا، التحق بجامعة مدريد للحصول على درجة الدكتوراه وكانت عن الغزالي.

تولى كرسي اللغة العربية في جامعة مدريد. ومن أبرز إنتاجاته العلمية بحثه المعنون (الرشدية اللاهوتية في مذهب القديس توما الأكويني)، وبحثه عن تأثر الشاعر الإيطالي دانتي بعنوان (الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية)، وأبدى اهتماماً بابن حزم والقرطبي وأبي حامد الغزالي.

وشارك مع المستشرق أربيرا في إصدار مجلة الثقافة الإسبانية (1906-1909م)، واختير عضواً في الأكاديمية الملكية للعلوم الأخلاقية سنة 1912م، وكذلك في الأكاديمية الإسبانية عام 1919م.

ثم توج دراسته عن ابن عربي بكتاب El Islam Cristianizado الذي ترجم بعنوان "ابن عربي حياته ومذهبه" القاهرة سنة 1969م ظهر في 1931م، وتابع آسين دراسة التأثيرات الإسلامية في الفكر الأوروبي، فكتب في 1933م بحثاً بعنوان "مفكر مسلم أندلسي يؤثر في القديس يوحنا الصليبي"، وفيه يدرس تأثير ابن عباد الرندي في يوحنا الصليبي"[2].

---

(1)- محمد تاج:"المنظور الاستشراقي في دراسة الأدب العربي"،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، الأستاذ المشرف أ.د: محمد عباس، تلمسان،2007-2008م/ص63.

(2)- عبد الرحمن بدوي:"موسوعة المستشرقين"/ص89.

2 - *إميليو بارثيا جومير* (Emilio Vorcia Gomez):

ولد في مدريد ودرس في جامعتها، وعمل أستاذاً بجامعة غرناطة وبجامعة مدريد، تولى إدارة المعهد الثقافي الإسباني، زار سوريا ولبنان، انتخب عضواً في المجمع العلمي بدمشق عام 1948م. عمل سفيراً لبلاده في بغداد وفي لبنان، وله دراسات عديدة في الأدب العربي وترجمات لبعض الشعر العربي إلى الإسبانية[1].

3- *بوش فيلا* (Villa Bosch) 1922:

ولد في فيجراس عام 1922م، درس في جامعة برشلونة، فقه اللغات السامية، وحصل على الدكتوراه من جامعة مدريد بعنوان "الإقطاع مملكة الطوائف على عهد بنورزين"، عمل في تدريس اللغة العربية في كل من جامعتي برشلونة وجامعة سرقسطة، وتولى منصب أستاذ مساعد للتاريخ والنظم الإسلامية بجامعة مدريد، وعمل أمين مكتبة الدراسات العربية بمدريد، ودرس التاريخ والنظم الإسلامية بجامعة غرناطة[2].

6/ دول أوروبا الأخرى:

1.*بول كراوس*: (1904ـ 1944)

ولد سنة 1904 في براغ تشيكوسلوفاكيا لأسرة يهودية، هاجر إلى فلسطين ليعيش في إحدى المستعمرات ودرس في مدرسة الدراسات الشرقية في الجامعات العبرية في القدس، ثم انتقل إلى برلين ليحصل من هناك على درجة الدكتوراه. اهتم بالتراث العلمي الإسلامي وكانت له دراسات حول جابر بن حيان والبيروني والرازي، أسهم مع ماسنيون في دراسة الحلاج. كما كان له دراسات مستقلة حول تاريخ الإلحاد في الإسلام ترجمت إلى العربية ونشرها الدكتور عبد الرحمن بدوي. وما منتحراً[3].

2.*هنري مانس* (Henry Lammens) 1826ـ 1937:

ولد في مدينة خنت في بلجيكا في 01/ 07/ 1862 تعلم في الكلية البوسنية في بيروت وبدأ حياة الرهبنة فيها، يقول عنه عبد الرحمن بدوي: "بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام يفتقر افتقاراً تاماً

---

[1]- تاج محمد:" المنظور الاستشراقي في دراسة الأدب العربي"،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، الأستاذ المشرف، أ.د: محمد عباس،تلمسان،2007 ـ 2008/ ص61.

[2]- تاج محمد:"المنظور الاستشراقي في دراسة الأدب العربي"/ ص 64.

[3]- عبد الرحمن بدوي: "موسوعة المسترقين"/ ص329.

إلى التراهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها ويعد نموذجاً سيئاً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين.

عمل معلماً في الكلية اليسوعية في بيروت حيث درس التاريخ والجغرافيا، ثم أصبح أستاذاً للتاريخ الإسلامي في معهد الدروس الشرقية في الكلية نفسها[1].

3.*بوهل* (Buhl) 1890:

ولد في كوبنهاجن بالدانمارك، درس اللاهوت وتعلم العربية، درس بجامعتي فينا وليبزيج، وزار العديد من البلاد العربية والإسلامية منها مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وتركيا . نال شهادة الدكتوراه في النحو العربي وتاريخ اللغة. وعمل أستاذاً للعهد القديم بجامعة كوبنهاجن.

ومن آثاره كتابه عن الرسول، وترجم معاني بعض أجزاء من القرآن الكريم إلى اللغة الدانماركية، وله كتاب في جغرافية فلسطين القديمة، وكتاب "حياة محمد" كما حرر عدداً من المواد لدائرة المعارف الإسلامية[2].

---

[1]- المرجع نفسه/الصفحة نفسها.

[2]- عبد الحميد صالح حمدان:"طبقات المستشرقين"/ص107.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

الفصل الثاني: طه حسين وأثر مناهج المستشرقين في دراسة الشعر الجاهلي

I. التعريف بطه حسين

II. منهج طه حسين حول صحة الشعر الجاهلي

III. دوافع التشكيك لدى طه حسين حول صحة الشعر الجاهلي

IV. مناهج المستشرقين بين الإنصاف والمغالطة

ظهرت في السنوات الأخير من القرن الماضي معالم كبرى أصبح من الضروري إعادة النظر فيها خاصة فيما يتعلق بالمناهج الأدبية، فهي من أخطر التحولات. ولاشك أن الحديث عن مناهج المستشرقين تمثل النقطة الخطيرة في تاريخ الحركة الاستشراقية، حيث اتجه معظم المستشرقين في انتهاج مناهج مختلفة حول دراسة الشعر الجاهلي، غير أن المتتبع لحقيقة هذه المناهج يعرف السند القوي الذي اعتمدت عليه. وعلى الجملة فإن هذه المناهج قد تركت بصمة كبيرة في كتابات الأدباء العرب ونخص بالذكر طه حسين، وهو من بين الذين تأثروا بمناهج المستشرقين خاصة تلك التي درست الشعر الجاهلي.

I. التعريف بطه حسين:

مما لاشك فيه أن الريف المصري أنتج فئات من الأعلام الأدباء والمفكرين والمبدعين برعوا في شتى حقول المعرفة حيث أنتجوا مؤلفات ساهمت في تطوير الأدب العربي عامة والمصري خاصة، ولقد كانت هذه البيئة بسيطة بساطة أصحابها الذين واجهوا قساوة العيش ومرارة الحياة في ظل ويلات المستعمر الإنجليزي المتسلط.

وأمام هذه الانتكاسة تصادف ميلاد ونشأة عباقرة الأدب العربي كعبد الرحمن الكواكبي (ت 1909)، قاسم أمين (ت 1908)، ومصطفى صادق الرافعي (ت 1949)، وأحمد أمين (ت 1954)، ومحمد حسين هيكل (ت 1956) وغيرهم كثير[1].

مضت السنون آحادها وعشراتها ولازال طه حسين رحمه الله يملأ سمع الدنيا وبصرها، بسبب بعض آرائه ومواقفه، فهو واحد من أعظم الأسماء في النقد والأدب في القرن العشرين.

فعناوين كتبه بقايا متناثرة في المكتبات العامة والخاصة تشهد بما حققه هذا الرجل في مجال النقد والأدب.

- فمن هو يا ترى هذا الرجل؟ وكيف عاش حياته؟

في الرابع من شهر نوفمبر سنة 1889 في "عزبة الكيلو" بالصعيد المصري، وفي أسرة ريفية كثيرة العدد يطلق طه حسن صرخته الأولى "كان السابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه، وخامس أحد عشر من أشقته، وكان يشعر بأن له بين هذا العدد الضخم من الشباب والأطفال مكاناً خاصاً يمتاز من مكان إخوته وأخواته"[2].

---

(1)- يحي شامي :" من أعلام الفكر العربي"، طه حسين أديباً وناقداً، دار الفكر العربي،ط1، بيروت، 1995/ ص86.

(2)- طه حسي:" الأيام"، دار الكتاب اللبناني،ط2 ،بيروت، 1984/ ص20.

لم يلبث أن عرف سببه فحزن حزناً عميقاً، لقد سمع إخوته يصفون ما لا علم له به، فعلم أنهم يرون مالا يرى، وكان من حسنات أبيه أن اهتم بتعليمه ليعده رجلاً يعتمد على نفسه خاصة وأن الحياة فُرضت عليه وعلى أمثاله من المكفوفين، وإن كانوا يرغبون في حياة كريمة فهو في أحد الخيارين: إما الدراسة في الأزهر، وإما الاتجار بالقرآن وقراءته على الموتى أو في المآتم.

وبحكم أن التعليم في مصر كان مطبوعاً بالصبغة الدينية آنذاك، فقد كان البرنامج الذي أعد له يتمثل في أن يحفظ ما استطاع من القرآن وشيئاً من الفقه والتوحيد، ثم بعد ذلك ينتقل إلى الأزهر، وقد صور طه حسين هذه الأمنية الأبوية في سيرته الذاتية حين قال: "أنا أرجو أن أعيش حتى أرى أخاك قاضياً وأراك من علماء الأزهر قد جلستَ إلى أحد أعمدته من حولك حلقة واسعة بعيدة المدى"[1].

في سنة 1902 رحل الطفل إلى القاهرة - قاصداً الأزهر- قصده بقلب خاشع ونفس متعطشة. هكذا تحدث في سيرته: "وأقبل إلى القاهرة وإلى الأزهر يريد أن يلقي نفسه في هذا البحر فيشرب منه ما شاء الله له أن يشرب. ثم يموت فيه غارقاً. رأى الموت أحب إلى الرجل النبيل من الموت الذي يأتيه من العلم وهو غرق في العلم"[2]. بعد ذلك رجع إلى الجامعة المصرية يوم كان يتردد عليها كبار المستشرقين إمّا زائرين وإمّا مدرسين.

والمستشرقون فئة من علماء الغرب أتقنوا اللغة العربية واهتموا بدراسة أدب الشرق وفكره، ويعود لهم الفضل في أن تتلمذ على أيديهم الكثير من رواد الفكر والأدب في نهضة العرب الحديثة،كما نبهوا الشرق إلى عظمة تراثهم فسارعوا إلى حفظه والعناية به، وصوّروا منه ما كان في مكتبات أوروبا ليكون تحت أيديهم، ونستطيع القول بأنهم أنقذوا التراث العربي الإسلامي من الضياع حينما حافظوا عليه في متاحف أوروبا ومكتباتها[3].

---

[1]-المصدر نفسه/ ص134.

[2]- المصدر نفسه / ص170.

[3]- علي مصطفى مصباح: "من الأدب الحديث"، دار المريخ للنشر، الجزائر، 1984/ ص 30.

من أهم المستشرقين الذين التقى بهم طه حسين في الجامعة المصرية يمكننا ذكر "جويدي احنتيسو"[1]، الذي دعي في عام (1908- 1909) ليكون أستاذاً في الجامعة المصرية القديمة، سنة بعد ذلك أي في عام 1910 دُعي "ماسينيون"[2] وألقى أربعين محاضرة باللغة العربية على طلاب الجامعة المصرية القديمة - كان من بينهم طه حسين- حول تاريخ المذاهب الفلسفية في الإسلام.

كان عندما يذكر أساتذته ومعلميه فإنه يذكرهم باعتزاز وإعجاب فهذا الأستاذ "كارلو نالينو"، المستشرق الإيطالي يدرس باللغة العربية "تاريخ الأدب والشعر الأموي". وهذا الأستاذ "سنتلانا" يدرس بالعربية أيضاً وفي لهجة تونسية عذبة تاريخ الفلسفة الإسلامية وتاريخ الترجمة خاصة. وهذا الأستاذ "ميلوني" يدرس باللغة العربية تاريخ الشرق القديم، ويصف هذا المؤثر الاستشراقي بقوله:" إن المستشرقين ملكوا عليه أمره واستأثروا بهواه."

لقد ترك هؤلاء المستشرقون في نفسه أثراً عميقاً تجلى في تقديره لأعمالهم وافتتانه بمناهجهم العصرية، التي رأى في اقتباسها وتطبيقها حيزاً كبيراً للثقافة العربية، لذلك يوم دعا إلى إلغاء "دار العلوم" كانت حجته: "أن مدرسة دار العلوم لا تعرف من الأدب الأوروبي ولا من الحياة الأوروبية إلا صوراً مشوهة، إن لم تضر فلن تفيد"[3]. وبالمقابل فهو عندما يقترح البديل المتمثل في مدرسة المعلمين في ناحية والجامعية هي ناحية أخرى، لأنهما متصلان اتصالاً متيناً بالحياة العلمية الأوروبية وبالأدب الأوروبي، يستمد منهما قوة وقدرة على البقاء والنفع والإنتاج [4].

---

(1)- IGNAZIO GUIDI. جويدي اجنتيسو: هو مستشرق إيطالي ولد سنة 1844 ،وتوفي 1935 .عين محافظاً في قسم النقود في مكتبات الفاتيكان سنة 1873و في سنة1876، كلف بالتدريس في جامعة روما لطول أكثر من أربعين سنة. من أهم آثاره: الأدب العربي الإسلامي، الآداب المسيحية في الشرق وغيرها. ولمعرفة تفاصيل أكثر يمكن الرجوع إلى عبد الرحمن بدوي:" موسوعة المستشرقين"، ص213.

(2)- Louis Massignon. هو لويس ماسينون، مستشرق فرنسي ولد 1883، وتوفي سنة 1962.عمل أستاذاً في الكوليج دي فرانس من 1926 إلى 1954، ولما أنشأ المجمع اللغوي في سنة 1933، عين عضواً عاملاً فيه من 1956 حتى وفاته. ومن أهم آثاره: عذاب الحلّاج، والطريقة الحلّاجية، نشأة المصطلح التقي التصوف وغيرها. لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى عبد الرحمان بدوي:"موسوعة المستشرقين " / ص929.

(3)- طه حسين:"في الأدب الجاهلي"، دار المعارف،ط1 القاهرة، 1975/ ص16.

(4)- المصدر نفسه/ ص16.

وكثيراً ما نوّه طه حسين بهؤلاء الأساتذة في أغلب آثاره كيف لا وقد اتصل بأساتذته أولئك اتصالاً متيناً، فكلهم قد آثره بالحب والرفق والعطف، وكلهم قد أدناه من نفسه ودعاه إلى أن يزوره في فندقه ويحب أن يقول له ويسمع منه[1].

وعن فضل هؤلاء المستشرقين على الجامعة والمجتمع المصري - في رأي طه حسين- فهو كثير، يقول في أستاذه "ليتمان"[2]، الذي كان عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة: "وكان له أبلغ الأثر لا أقول في حياتي الخاصة، ولكن في حياة كثير من الشباب الذين كانوا يختلفون إلى الجامعة المصرية القديمة، وما أعرف أن أحداً أثر في الحياة العقلية للشباب المصريين في ذلك الوقت، في أوائل هذا القرن كهذين الأستاذين العظيمين اللذين كانا عضوين في هذا المجمع (الأستاذ ليتمان والأستاذ نالينو)، وكل ما نشأ في مصر من البحث على الطرائق العلمية الحديثة في الأدب وفي اللغة وفي الدراسات السامية بوجه عام، فإنما مرجعه إلى هذين الأستاذين قبل كل إنسان وقبل كل شيء"[3].

تحصل على الدكتوراه سنة 1944 برسالة موضوعها "أبي العلاء المعري"، أي السنة نفسها التي رحل فيها إلى فرنسا. نعم لقد تحقق الحلم وأصبحت الأمنية واقعاً، "وما أكثر ما سألت نفسي كيف السبيل لمثلي إلى عبور البحر وطلب العلم غريباً في تلك البلاد التي لا أعرف من أمرها شيء و لم أكن أجد جواباً لهذا السؤال، ولكنني كنت أقول دائماً: "ومع ذلك فلابد من عبور البحر وطلب العلم في معاهد الغرب[4]. ولكن لماذا فرنسا؟

لأنها كانت دائماً القطب الذي يجذب إليه الإهتمام في التطلع إلى الغرب لسنوات طويلة: منذ القرن التاسع عشر، فلا تضارعها في ذلك سوى بريطانيا التي سعت إلى منافستها في إطار الصراع الإستعماري على الشرق الأوسط وفي جذب البعثات الثقافية إليها، وزيادة على ذلك فإن الحضور الثقافي الفرنسي كان أسبق من حضور غيره بسبب احتلال فرنسا لمصر.

---

(1)- طه حسين:" مذكرات"، دار الآداب،ط2 بيروت، دت/ ص57.

(2)-(Enno Littmann) إينو ليتمان: مستشرق ألماني ولد سنة 1897 في مدينة Oldenburg، وتوفي سنة 1998. دُعي إلى الجامعة المصرية و درس فيها أستاذاً في أواخر العشرينيات، وعين عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ إنشائه. ولمعرفة أكثر يمكن الرجوع إلى، عبد الرحمان بدوي:" موسوعة المستشرقين".

(3)-أحمد علبي:" طه حسين رجل وفكر وعصر"، دار الآداب،دط، بيروت، 1989/ ص236.

(4)- المرجع نفسه/ ص373.

أما عن اتصاله بالمستشرقين وبيئات الاستشراق، فقد صور علاقته بالمستشرق الفرنسي "كازانوفا"[1]، الذي تتلمذ على يديه في الكوليج دي فرانس كما يلي: "عرفته أستاذاً في الكوليج دي فرانس، و لم أكد أسمع له حتى أعجبت به إعجاباً لم أعرف له حداً، كان يفسر القرآن وكنت حديث العهد بباريس .كنت شديد الإعجاب، بطائفة من المستشرقين، ولكن لم أكن أقدر أن هؤلاء المستشرقين يستطيعون أن يعرضوا في إصابة وتوفيق لألفاظ للقرآن الكريم ومعانيه والكشف عن أسراره وأغراضه[2].

وفي سنة 1925 عين أستاذاً لتاريخ الأدب العربي في كلية الآداب، بعد ذلك تقلب في مناصب عدة منها مراقب عام للثقافة في وزارة المعارف، وصار مستشاراً فنياً للوزارة في نهاية عام 1944، ثم من خلال تمرسه بالسلطة ما ينيف عن العامين عُيّن وزيراً للمعارف خلال (1950- 1952)، عندما غدا وزيراً بادر إلى تعميم مجانية التعليم الثانوي و الفني، محاولاً تحقيق شعاره "أن التعليم كالماء والهواء وينبغي أن يوفر للجميع"[3].

ولعله كان يقصد بهذا الشعار أن يكون التعليم نقياً نقاء الماء العذب، صافياً صفاء الهواء الطلق لا أن تكدس الفصول تكديساً، لأن "العلم يجب أن يطلب لأنه علم لا لأنه يمكنك من أن تعيش عيشة مترفة، والسبب أن الأزمات التي عرفتها مصر في مجال الزراعة آنذاك جعلت الناس تنظر إلى الوظيفة بمنظار أفضل لأن رزقها مضمون.

ولهذا ارتفعت الدعوة إلى المطالبة بالتعليم، وفتح المدارس، وبعبارة أخرى أصبح العلم يطلب من أجل الوظيفة لا من أجل العلم.

---

(1)- (Paul Casanova) ،بول كازانوفا مستشرق فرنسي ولد سنة 1816 .تعلم العربية وعلّمها في معهد فرنسا. توفي سنة 1926. زار مصر درّس بالجامعة المصرية سنة 1925 أستاذاً لفقه اللغة العربية.من أبرز آثاره تحقيق كتاب "الخطط للمقريزي". وله كتاب بعنوان: "محمد وانتهاء العالم في عقيدة الإسلام".للمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى عبد الحميد حمدان :"طبقات المستشرقين" / ص180.

(2)- أنور الجندي: "طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام".

(3)- عفيف فرج: "إشكالية النهضة"، دار الآداب،ط1، بيروت، 2006/ ص144

كان طه حسين بنّاءً للجامعات، يبنيها على خلفية فلسفية إغريقية إنسانوية معنية بتخليق الباحث المثقف لا الموظف، وكان مثاله الإنساني المنشود إغريقياً سقراطياً يستحثه على تحويل الجامعات إلى مصانع تولد المفكر المولد والعالم المكتشف المجدد[1].

نعم قد رفع طه حسين التحدي وكان مآله النجاح والشهرة فذاع صيته حيث تجاوز أقرانه وحتى حدود الوطن العربي، فكل هذا زاد في نفسه حب الظهور والتفرُّد، أما جرأته دفعته إلى انتهاج فلسفة الشك في الشعر الجاهلي، هناك اشتد لهيب تلك المعارك التي ساهم في إشعالها بقلمه حينما ألف كتاب "الشعر الجاهلي"، ثم نقّحه وهذبّه فأسماه "في الأدب الجاهلي".

هذا الكتاب الذي حرك الساحة النقدية فاشتدَّت الإثارة بين طه حسين ومعارضيه تصدى له الكثيرون من المفكرين الذين هاجموه فخطبوا الخُطب وألفوا الكُتب ودبَّجوا المقالات في تفنيد ما ذهب إليه من نقد.

وفي مقابلة أجراها معه أحد النقاد حول مستوى الجامعات المصرية من بعده، قال: "الجامعة؟ لا يعرفونها الآن. الجامعة كانت، أمّا الآن فلست أدري؟ هل نحن الذين تخلفنا أم ثمة خطأ قد حدث؟

فالجامعة كانت في زماننا محراباً للفكر، كانت قدس أقداس الحرية، وأسمع الآن أنها تحولت إلى شيء شبيه بالمدارس الثانوية أو المدارس المهنية. كانت ثقافة عامة في زماننا هي ثقافة خاصة في زمانكم[2].

وفي الملخص عن حياة طه حسين، يكشف عن الظروف التي أدت إلى تكوين الصلات بين طه حسين والمستشرقين، وبالتالي تحقق القرابة كما يؤكد لنا الطرق التي من خلالها وصلت آراء المستشرقين إليه.

لقد تتلمذ عليهم واطلع على آثارهم وشارك في مؤتمراتهم الشيء الذي مكنه من اقتباس مواقفهم النقدية والاستعانة بها للوصول إلى قواعد عامة حاول من خلالها الربط بين القديم والجديد.

وافته المنية سنة ثلاث وسبعون وتسعمائة وألف عن عمر يناهز ثمانين سنة، ولعل أبرز ما تركه لنا طه حسين أحاديث عن النثر والشعر والشعراء، "حديث الأربعاء"، "من حديث الشعر والنثر"، "مرايا عن الإسلام

---

(1)- المرجع نفسه/ ص113.

(2)-المرجع السابق/ص137

ونبيه صلى الله عليه وسلم"، "مرآة الإسلام"، "على هامش السيرة"، "ذكريات عن سيرته وسيرة فيلسوف"، "شاعر الشعراء أبو العلاء المعري"، "الأيام"، "ذكرى أبي العلاء" وغير ذلك من المؤلفات والكتب.

فقد كان طه حسين بحق موسوعة في الثقافة والتأليف الأدبي والفكري.

II. منهج طه حسين حول صحة الشعر الجاهلي:

العصر الجاهلي من حيث المدة الزمنية هو الفترة التي سبقت الإسلام، ويبدأ منذ أقدم الأزمنة وينتهي بمجرد هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة المنورة في السنة الأولى من التاريخ الإسلامي 622هـ[1].

تميّز الشعر الجاهلي بميزات عكست طبيعة المنطقة التي نشأ فيها فجعلت أفكاره جليّة واضحة وصوّره واقعية ،وأسلوبه موجز وبديهي يخلو من المنطق الدقيق، وجعلت نغمته موحدة كثيرة التكرار، فكان له الأثر البليغ، فهو ترجمة عن أحاسيس النفس وهو لسان القبيلة وسجل أخبارها، لذا عرف بأنه ديوان العرب. ومن أجل ذلك كانت كل قبيلة تحرص على أن يكون لها شاعر وقائد وخطيب، ولكن الشاعر كان أكثر عليهما وأحب إليها من هذين. فكانت إذا نبغ فيها شاعر تصنع الولائم وتقيم الأفراح، وتهنئها القبائل.

وكان الشعراء الجاهليون لا يعرفون القانون ،غير تعصب للقبيلة والذود عن حماها والإسراع لنجدتها كلما تعرضت للخطر، وكانوا يشكلون كتلة واحدة في السراء والضراء لرد كيد الأعداء، وحماية القبيلة والتغني بقائلها من كرم وشجاعة ومروءة، وهذا يظهر أن الشاعر كان ملتزماً بقبيلته وقيمها[2].

ومن بين مميزاته كذلك الطابع الشفهي، فقد حفظ الشعر الجاهلي في الذاكرة لا في الأوراق، وقد أدت الذاكرة الشعبية لدى الشعوب وظيفة حفظ التراث، فالشعوب الفطرية أحَدُّ ذاكرة من الشعوب المتحضرة التي عاشت الكتابة عندها، لأن الشعب الذي لا يملك الكتابة لا يعتمد عليها في حفظ آثاره فيضطر إلى استخدام ذاكرته للحفظ فتقوى بالإستعمال ويسهل عليها اختزان مختلف الآثار وتكثر حينها الرواية التي تقوم مقام الكتب والدفاتر، ولذلك كان لكل شاعر في الجاهلية راوية يحفظ شعره ويرويه للناس وربما روى شعراء بعضهم لبعض. فقد كان زهير راوية لأوس بن حجر والحطيئة راوية لزهير وقد تشتهر قصيدة لشاعر فترويها قبيلته، كما اشتهرت معلقة عمرو بن كلثوم فكانت قبيلة بني تغلب تعظمها ويرويها كبارها وصغارها.

ومعنى هذا أن العصر الجاهلي الأدبي يبدأ كما لاحظ الجاحظ بحق قبل الإسلام بقرن ونصف أو على أبعد تقدير قرنين من الزمان، وهو تاريخ يعود بنا إلى حدث مهم عرفته الجزيرة العربية في هذه المرحلة من تاريخها

---

(1)- عمر فروخ:" المنهاج في الأدب العربي وتاريخه"، ط2، عصرية رمضان،/ ص74.

(2)- المرجع نفسه/ ص48.

وكان له أثر بعيد المدى في حياتها الإجتماعية وحياتها الأدبية معاً، وهو حرب دارت رحاها في أواخر القرن الخامس الميلادي وأوائل القرن السادس بين قبيلتي بكر وتغلب والتي استمرت فيها يقال 40 سنة.

وفي أغلب الظن أن هذه الحرب هي التي شهدت الأولوية الناضجة للشعر الجاهلي، وقد أظهرت جماعة من الشعراء نهضوا بفن الشعر نهضة قوية أخرجته من دوائر شعبية التي كان يدور فيها إلى الدوائر الرسمية، حيث نرى القصيدة العربية بصورتها الناضجة التي تسيطر عليها مجموعة من التقاليد الفنية.

ومعروف أن المهلهل بن ربيعة هو بطل هذه الحرب الذي شهدها من بدايتها حتى نهايتها، وهو الرائد الأول الذي أعطى القصيدة العربية صورتها المعروفة، وشكلها التقليدي أخرجها من نطاق مقطوعة أو أبيات محدودة العدد إلى نطاق قصيدة طويلة، وهي زيادة أضفت لقبه الذي عرف به، فالقصيدة العربية كما أظهرت حرب البسوس لا تمثل أولية الأولى الشعر الجاهلي، وإنما تمثل الأولية الناضجة المكتملة التي لم يصل إليها الشعراء. إذ بعد مرور تجارب طويلة متعددة مارسوا فيها قول الشعر، والباحثون مختلفون حول طبيعة هذه التجارب والمحاولات التي بدأ فيها الشعر العربي قبل حرب البسوس.هذا ماتميّز به الشعر الجاهلي.

تكثر في الآداب العالمية ظواهر حتى تصبح عامة لا تخص جهة دون جهة أو منطقة دون منطقة، ففي الآداب اليوناني تقف المشكلة الهوميروسية أمام محك وجيه، وكيف استطاع الإنسان أن يتصل بالملحمتين؟

ومبرر السؤال وجيه كذلك إذا كان في العلم أن هوميروس كان أعمى، وكان ينتقل من قرية لأخرى ينشد في هذه ويغني في تلك. وكما أن الملحمتين طويلتين لدرجة أن الذاكرة لا تستطيع الاحتفاظ بهذه التحفة الفنية.

وظاهرة الانتحال في الشعر ظاهرة أدبية عامة لا تقتصر على أمة دون غيرها من الأمم ولا يختص بها جيل من الناس دون غيره من الأجيال. فقد عرفها العرب كما عرفتها الأمم الأخرى التي كان لها نتاج أدبي وعرفها العصر الجاهلي كما عرفها العصر العباسي. بل لايزال يعرفها عصرنا الحاضر الذي تجيى فيه رغم شيوع الكتابة وانتشار الطباعة.

ولم يكن الوضع والإنتحال مقصوراً على الشعر وحده بل شمل كل ما يرتبط بالأدب كالأخبار. فقد شهد الحديث النبوي هذه الظاهرة بل اضحى جسمه معرضاً لادعاءات المدعين ووضع الوضاعين وقد حذّر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك حين قال: {مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ}.

وحتى نوضح هذه الظاهرة أكثر ارتأينا إلى:

1. تعريف الإنتحال.
2. الإنتحال عند القدامى.
3. الانتحال عند المستشرقين.
4. الانتحال عند المحدثين.

1- **تعريف الإنتحال**: جاءت كلمة نحل وانتحال في اللغة بعدة معاني فقد وردت في اللغة:

- النحل: نحل الشيء أعطاه أو وهبه أو خص.
- انتحل الشيء: ادعاه لنفسه وهو لغيره أما في موضوع الشعر فهناك عدة مصطلحات.
- النحل: هو نسبة شعر لرجل إلى رجل آخر.
- انتحال: ادعاء الشعر.
- الوضع: أن ينتظم الرجل الشعر ثم ينسبه إلى غيره.

أمّا في الاصطلاح: يعني نسبة قول أو شعر إلى غير قائله، ويدعي أنه صاحبه، فابن منظور يقول في لسان العرب: "انتحل فلان شعر فلان إذا ادعاه أنه قائله وتنحله وادعاه لغيره"[1].

فمن المعروف أن العرب منذ القديم، تميزوا بقدرة التعبير عن العواطف والتأثير في النفوس وتصوير الأحاسيس.وقد جاء ذلك على إيقاع جميل. فالشعر عند جميع الأمم لغة الوجدان، وهو لغة الغناء. كما أن العرب سعوا إلى نشره حباً فيه يفاخرون غيرهم من الأمم ويفاخرون القبائل التي لم تحض باحتضان شاعر، كما ألفت العرب الذاكرة واعتبرتها رهان المحافظة على تراثها وتناست الكتابة فقد وصلت الذاكرة عندهم أعلى مراتب الإهتمام.

وهنا علينا أن نطرح سؤالاً لطالما دار في ذاكرة الكثير من الدارسين والباحثين في حقل الشعر الجاهلي بصفة خاصة والأدب الجاهلي بصفة عامة وهو كيف وصلنا الأدب الجاهلي؟ أجاء بالكتابة أم بالرواية؟ وهل وصلنا كاملاً أم ناقصاً؟

---

[1]- ابن منظور:" لسان العرب"،دار الجيل ،دار لسان العرب،1988/ ص54.

لقد ثبت بالأقوال أن ما وصلنا من الشعر إلا قليلا حيث يقول عمرو بن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا قليل ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير"[1]. فقد ساهمت ظروف متعددة عاشتها الأمة في ضياعه ،كقلة الكتابة والتدوين، وموت الكثير من الرواة في الفتوحات الإسلامية، ومع هذا فالكتابة تبقى السبب الأكبر لضياع الشعر الجاهلي. وهناك أدلة كثيرة تطرّق إليها الباحثون في ميدان الأدب الجاهلي.

لم تكن الكتابة شائعة في أوساط الجاهليين وقد كانت مقصورة على بعض القضايا الفردية الخاصة بالرسائل السياسية، فلو كانت منتشرة لوصلنا شعر كثير بأقلام أصحابه مدوناً في عهدهم ومدوناً في عهد الخلفاء أو الأمويين أو العباسيين، في العهد الذي تحوّل فيه الشعر من فن مسموع إلى فن مكتوب، فشعراء الجاهلية لم يتخذوا الكتابة لحفظ شعرهم أثناء نظمها، و لم يتخذوها وسيلة لنقل دواوينهم إلى اللاحقين من الأجيال، وإنما كانت الوسيلة المستعملة لناقل الشعر عندهم هي الرواية الشفوية إذ كان الشاعر يلقي قصيدته ليتلقاها الناس ويروونها.

فعجباً ونحن نطالع جملة من الكتب للعديد من المؤلفين والباحثين القدامى والمحدثين كيف أنهم تناولوا قضية انتحال الشعر بجدية وعزم، حيث سخروا جهودهم للبحث والتقصي عن أسباب التشكيك في الشعر الجاهلي مدعمين ذلك بحجج قوية "الأدب الجاهلي القديم كان ينشد ويحفظ ويروى عن طرق المشافهة والروايات الشفهية و لم يدون إلا بعد زمن طويل"[2].

وفي ظل جمع وتدوين الشعر الجاهلي قيل أن الكثير منه مزيف مفتعل، وهذا ما دفع العلماء العرب كالجاحظ (ت)، وابن رشيق (ت 463هـ)، وابن سلام الجمحي (ت 232هـ) إلى بيان أوجه الانتحال فيه.

2/ الانتحال عند القدامى: يعد ابن سلام الجمحي من الأوائل الذين طرحوا هذه القضية وعرض لها بالتفصيل في كتاب "طبقات فحول الشعراء". حيث يقول: "وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية و لم يعرضوه على العلماء"[3].

---

(1)- الجمحي ابن سلام:" طبقات فحول الشعراء"،شرح محمد شاكر، دار المغرب،جدة / ص10.

(2)- أنور الجندي:" في تاريخ الأدب الجاهلي"، مكتبة النصر، القاهرة/ ص174.

(3)- رجاء عيد:" التراث النقدي نصوص ودراسة"، منشأة المعارف، القاهرة/ ص269.

وفي هذا الإطار نجد ابن سلام أحد أقطاب هذا التوجه النقدي يتطرق لهذا الموضوع الذي شغل اهتمامه، واستغرق طاقته وجهده. فقد كان مسؤولا اتجاه موضوع دراسته ،وناقشه بعقل الباحث المدقق والناقد المحكم ملماً بجوانبه معتمداً بذلك منهجاً علمياً طارحاً أسئلة حول "قضية الانتحال في الشعر الجاهلي". أهي صحيحة أم باطلة؟ فإن صحت فأين هذا المنحول فيما وصلنا عن العلماء الرواة من أشعارهم؟"[1].

لم يكن ابن سلام من الذين يحكمون بأحكام سابقة ويبحثون عما يبررها أو الشك الذي لا ينفع مع شكه دليل، بل كان صاحب حكمة يسعى في طلبها. فالحقيقة ضالته أينما وجدها فهو أولى بها. فلم يكن سيفاً حاداً يقطع صلة الشعر الجاهلي بالجاهليين، وإنما أخذه بعقل مدقق متفحص متزن في حكمه ليكون بذلك حكماً بأدلة وبراهين.

و لم يكن ابن سلام الوحيد الذي تصدى لهذه الظاهرة وإن كان أفضلهم في هذا الميدان، وسبب ذلك تعرض الشعر الجاهلي لكثير من الوضع والانتحال وهذا بسبب قائليه، أي الرواة الذين يتخذون رواية الشعر الجاهلي عملاً أساسياً لهم، وتختلط في هذه الطبقة أسماء عرب وموالٍ وأسماء قرَّاءٍ للقرآن الكريم، وهم جميعاً حضاريون عاشوا غالباً في البصرة والكوفة، كما أنهم لم يقفوا عند رواية الشعر القديم بل كانوا يضيفون إليها كثيراً من الأخبار عن الجاهلية وأيامها. ومن الذين تناولوا هذه الظاهرة الأصمعي والمفضل الضبي.

3- الانتحال عند المستشرقين:

لقد أُولي الأدب الجاهلي عناية كبيرة، فكان من المواضيع التي تخصصوا فيها وقدموا فيها آراءً كثيرة وخطيرة وما من كتاب كتبوه في الأدب إلاّ وذكروا الشعر الجاهلي ونلمس ذلك ليس فقط في الدراسات الأدبية الخاصة به، وإنما في كتب الأدب العربي العامة التي ألفوها كـــ:

- تاريخ اللغة والآداب العربية **للمستشرق شارل بلا**.
- تاريخ الأدب العربي **لكارل بروكلمان**.
- تاريخ الأدب **لريجيس بلاشير**.

أ- ***شارل بلا***: كتب المستشرق(Cherles Pellat) تاريخ اللغة والآداب العربية، وقد ترجمه رفيق ابن وناس وصالح حيزم والطيب القشقاش. هذا الكتاب الذي خص الأدب القديم بالكثير من الأهمية، فهو

[1]- ابن سلام الجمحي:" طبقات فحول الشعراء" / ص10.

يعنون الفصل الثاني منه بنشأة الأدب العرب ويذكر: "أن عصر الأدب الأول يشمل الجاهلية والفترة المحمدية وعهد الخلفاء الراشدين وعهد الدولة الأموية، و لم يكن العرب قبل محمد (632م) أمة موحدة بل كانوا مجموعات من القبائل الحضرية والبدوية ما كانت تتنازع وما أتيت من الحضارة إلا قليلاً"[1]. فيبدأ كتابه بالحديث عن القضايا العامة التي تخص الأدب باللغة الفصحى والعامية والقرآن الكريم، ثم يبدأ الحديث عن الشعر الجاهلي والقضايا الكبرى التي أثيرت حوله[2].

ب- ***كارل بروكلمان***: فقد خصه بدراية هامة كانت تصديراً لموسوعته القيمة بـــعنوان: "تاريخ الأدب العربي" فصلها على العناوين التالية:

تحدث عن اللغة العربية و عن مناطق انتشارها وتطورها وعن لهجاتها.

- مفهوم الأدب.
- أولية الشعر الجاهلي ص44.
- قوالب الشعر الجاهلي ص51.
- طبيعة الشعر الجاهلي ص64.
- أولية الشعر العربي ص 128[3].

ج- ***بلاشير ريجيس***: فقد ألف كتاباً أطلق عليه "تاريخ الأدب العربي " وضمنه مجموعة من المباحث الهامة في تاريخ الأدب الجاهلي المحاور الآتية وهي كفيلة بأن تعطي انطباعاً حسناً على محتويات الكتاب. فيبدأ الكتاب بعنوان: سيطرة العرب في أدب الجزيرة العربية منذ نشوئه إلى سنة 729م ويقسمه إلى:

- الفصل الأول: المجال العربي وسكانه ص19.
- الفصل الثاني: العوامل التاريخية والإسهامات الخارجية ص52.

---

(1)- شارل بلا:" تاريخ اللغة والآداب العربية"،رفيق ابن وناس وصالح حيزم والطيب القشاش، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت، 1997/ ص73

(2)- للمزيد من المعلومات يمكن الرجوع لكتاب "تاريخ اللغة والآداب العربية" للمستشرق شارل بلا.

(3)- ينظر كارل بروكلمان:" تاريخ الأدب العربي"، نقله إلى العربية عبد الحليم النجّار، دار المعارف،ط4 ،القاهرة،ج2 1977.

- الفصل الثالث: اتخاذ لهجة عربية كلغة أدبية ص82[1].

أمّا عن قضية الانتحال فقد تناولها العديد من المستشرقين بين متحفظ في تناولها وبين مفرط ومغال في شكه. ومن أبرز هؤلاء المستشرقين "نولدكه" حين كتب عن المعلقات في الموسوعة البريطانية عام 1764، ثم تلاه في الهجوم "رينه باسيه" عميد كلية الآداب بالجزائر حيث نشر عام 1880 كتاباً بعنوان الشعر العربي الجاهلي[2].

ويجدر بنا الإشارة إلى النتيجة التي توصل إليها كل من نولدكه (1886- 1920) وألورد مفادها أن الشعر الجاهلي كله منحول باستثناء القليل من القصائد التي جاءت صحيحة، إلا أن مثار الشك فيها ما يمت بصلة إلى "ترتيب أبياتها وألفاظ كل منها"[3].. وتتابع قضية انتحال هذا الشعر لتقف عند المستشرق مرجليوث" Margoliouth "[4]، من خلال مقاله أصول الشعر العربي The origins of Arabic poetry في المجلة الأسيوية عام 1925. وقد أجمعت الدراسات العربية التي تناولت تحليل مقاله أنه انطلق من حقيقتين بنى عليهما مقاله، أولاهما الطعن في العقيدة الإسلامية من خلال جملة من الافتراءات والأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم، وثانيهما التشكيك في أصالة الموروث العربي الجاهلي، ولكن هذا الإدعاء والتجريح للقرآن الكريم ينفيه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فهذه الآية تبرئ القرآن الكريم من كل الشبهات التي ألحقوها به، لكنّنا لسنا بصدد الحديث عن قضية الشك في الإسلام ونبيه، فالحديث في هذا الموضوع شائك.

التعريف بالكتاب: أصول الشعر العربي بحث كتبه المستشرق الإنجليزي ديفيد صمويل مرجليوث D. S. Margoliouth في نيسان 1929 يحتوي على 32 صفحة، كتب باللغة الإنجليزية بعنوان origins

---

(1)- ينظر بلاشير ريجيس:" تاريخ الأدب العربي"، ترجمة إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر،ط1، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج1/ 1986.

(2)- محمد التونجي: "دراسات في الأدب الجاهلي"، حلب، مطبعة الشرق، 1880/ ص199.

(3)- شوقي ضيف،" تاريخ الأدب العربي"، العصر الجاهلي، دار المعارف،ط10،القاهرة، 1982/ ص166.

(4)- دافيد صموائيل مرجليوث (1898- 1940): مستشرق بريطاني متعصب ضد الإسلام توفق في الدراسات الشرقية، كما عني بفقه اللغة العربية، أصدر عام 1911 كتاب تحت عنوان: الأعمال الشعرية لأرسطو طاليس. مترجمة من اليونانية إلى الإنجليزية ،من العربية إلى اللاتينية، وقد نال مرجليوث استحقاقاً بوصفه مستعرباً عن أعماله التي نشرها. ففي عام 1898 أعد طبعة ممتازة لرسائل أبي العلاء المعري بترجمة انجليزية وغيرها من الشروحات والملاحق.

the of sratsic poetry والذي نشره في مجلة الجمعية الأسيوية الملكية التي تصدر بلندن في عدد يوليو 1925 journal of the riryal asiatic وكان له أثر كبير في فكرة الانتحال، ولقد ترجم هذا الكتاب لعدة ترجمات التي تمت للكتاب وهي:

1- ترجمة يحي الجبوري (مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ط1/ 1397هـ - 1986م).

2- ترجمة عبد الرحمن بدوي (وهي موجودة في كتابه "دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي/ دار العلم للملايين/ بيروت، ط2 / 1986).

محتوى الكتاب: كانت المحاضرة التي عنوانها "أصول الشعر العربي" بياناً لموقف مرجليوث من الشعر الجاهلي، وقد بنى مرجليوث نظريته حول الشعر الجاهلي على:

- العلاقة بين النقوش والأشعار.
- الثقة في الرواة.
- العلاقة بين القرآن والأشعار.

1- **العلاقة بين القرآن والأشعار**: بنى مرجليوث هذه الفرضية على المنجز الحضاري للعرب، وكيف أن النقوش لا تتناسب وحياة البدو العرب التي يفترض أنها أنتجت الشعر الجاهلي، فهو يرى أن النقوش العربية الجنوبية لم تكن موزونة على الأقل بحسب البحور المألوفة في الشعر العربي والشعوب التي أوجدت هذه النقوش في رأيه ذات حضارة أسمى من حضارة البدو الذين عنهم صدرت هذه الأشعار. فقد رأى "من غير المعقول أن يكون للبدو غير المتحضرين ما لم يكن لأولئك المتحضرين كمثال على ذلك الممالك اليمنية لا تدل على وجود أي نشاط شعري فيها"[1].

2- **الثقة في الرواة**: يقف مرجليوث إزاء الروّاة المهتمين أمثال حماد الراوية وخلف الأحمر، وما كان يطعن به بعض الرواة في بالبعض الآخر ليزعم أن الوضع في الشعر كان مستمراً وفي وجود موضوعات نمطية في الشعر الجاهلي ومن ناحية الترابط وتسلسل الأبيات لنشأة السرقات الأدبية، أما إضافة أبيات أو خلط في ترتيبه. ومهما كانت الذاكرة والتدقيق الشديد فإن الانتقال الشفوي للشعر قد أدى إلى سقطات في الذاكرة.

---

(1)- بدوي عبد الرحمن:"دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي"، دار العلم للملايين،ط1 ،1979/ ص132.

لهذه التزويرات المقصودة أو السرقات دواعي عديدة، وقد أورد آلقرت (Alguart)، أخباراً عديدة في الكشف عن الانتحال بواسطة اللغويين العرب وجمع الملاحظات عن صحة القصائد العربية القديمة، ويضيف مرجليوث إلى هذه عدد آخر وتكرار نفس الأخبار مما يدل على أن الأمر متعلق بعدد ضخم من التزويرات، ثم أن التحاسد بين مختلف الرواة بعضهم البعض يقدم لنا ضماناً كافياً على أن الكشوف من التزويرات والشكوك المؤسسة على براهين وصلت إلينا[1].

3- **العلاقة بين القرآن والأشعار:** من خلال دراسة مرجليوث لهذه القضية ينفي كتابة الشعر الجاهلي، ويؤكد أنه نظم في مرحلة زمنية قبل نزول القرآن الكريم، ومن المعروف في رأي مرجليوث أن القرآن يقف من الشعر موقفاً عدائياً مثل: قريش الذين ناصبوا العداء الشديد للدعوة المحمدية. ولكن مرجليوث استثنى الكلمة النورانية التي ناصرت الدين الجديد وأوجدت لمبادئها شعراء من بينهم حسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة.

وموقف ألقرت من الشعر والشعراء لقوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمُ الغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ إِلاَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[2].

وعليه نرى أن نظرية مرجليوث تقوم على مبدأ الشك الديكارتي، فهو يرى أن الشعر الجاهلي غير موثوق به فهو منحول بعد الإسلام، ودليله في هذا أن شعراء العصر الإسلامي نطقوا شعراً ونسبوه إلى شعراء العصر الجاهلي، ويتجاوز إلى حد الشك في لغة الجاهليين، حيث يرى أن لهجات العرب لن تأت على لسان الشاعر الجاهلي "ولو أن هذا الشعر صحيح لمثل لنا لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية"[3].

أما عن شكه في الرواة الذين تناقلت عنهم القصائد الشعرية الجاهلية يرى أنهم على زيادات ونقصان في رواية هذا الشعر، ومهما يكن من أمر فالروّاة أنفسهم قد أسدوا لنا خدمة عظيمة تمثلت في الحفاظ على رواية ذلك الشعر بلا منازع، حيث كانوا يبحثون عن مصدر الرواية الصحيح والتثبت من اكتشاف الزائف والرذيل من صحيح، معتمدين في ذلك على رأي فحول الشعراء ونقاد الشعر آنذاك "حسان بن ثابت" و"النابغة الذبياني" وغيرهم كثير.

---

(1) - المصدر نفسه ص 421

(2)- سورة الشعراء، الآية: 244.

(3)- شوقي ضيف: "تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي"، ط10/ ص167.

وما يعلل ما ذهبنا إليه قول أنور الجندي: "..وأوصلوا إلينا بفضل جهودهم المذكورة قدراً عظيماً من الآثار الأدبية الجاهلية الصحيحة التي لا يرقى إليها الشك، والكتب الأدبية تفيض بالأمثلة بكل هذا وهي تشهد له بالجهد الكبير والفضل العظيم"[1].

لم يكن مرجليوث يهدف بمنهجه إلى تحقيق العلمية المثلى بقدر ما كان يهدف إلى إثارة المعارك النقدية حول الأدب العربي عامة والشعر الجاهلي خاصة، فمن منطلق نظرته التعصبية الشديدة اتجاه الشرق أفرز السموم والكراهية للأدب الجاهلي، فدحض كيانه وهزّ نسبه وجرّ من وراء منهجه العديد من أدباء العرب، والحقيقة أنّنا لا نجاري منهجه الذي أقامه على فرضيات وهمية لا طائل من ورائها، بذلك نفند كل ما ذهب إليه هذا المستشرق – الحاقد الناقم- خاصة المبررات التي أفادها عن الشعر الجاهلي، بدليل أنه لم يرجع إلى الوقائع الإسلامية الثابتة والصحيحة في دراسته هذه، بل علل وفسّر على هواه وصدق أحمد سمايلوفيتش حين وصفه بقوله: "..مرجليوث لا ينظر إلا بمقياس التعصب ولا يرى الأمور إلاّ من خلال الطعن والشك"[2].

ردود الأفعال اتجاه نظرية مرجليوث:

أ- ***الغرب***: ليس من الشك أن المستشرقين أصناف، صنف منهم أساء للشعر الجاهلي وصنف آخر أحسن له، ومن أبرزهم المستشرق "ليال" الذي يقف موقفاً ساخطاً ناقماً على نظرية مرجليوث، حيث خالف ما ادعاه هذا الأخير ويتضح هذا من خلال قوله: "أن الشعر القديم صحيح في جملته وليس منحولاً، والسبب أن شعر القرن الأول الهجري يتضمن وجود هذا الشعر الجاهلي ويفترض سبقه عليه، فقد استمر شعراء القرن الأول المشهورون: الفرزدق، جرير والأخطل وذو الرمة، يتبعون تقاليد الشعراء الجاهليين من غير أن تكون بينهم فجوة... وليس من شك في أنه قد وصلنا شعر هؤلاء صحيح"[3].

- آبري: Abri: يفنّد آبري أراء مرجليوث ويتعجب أن تكون صادرة من رجل مثله لمكانته في الأوساط العلمية ويؤكد ذلك بقوله: "إن السفسطة - وأخشى أن أقول الغش- في بعض الأدلة التي ساقها الأستاذ مرجليوث أمر بيّن جداً ولا تليق البتة برجل كان ولا ريب من أعظم أئمة العلم في عصره"[4].

---

(1)- أنو الجندي:"في تاريخ الأدب الجاهلي" / ص152

(2)- أحمد سمايلوفيتش:" فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"،دار الفكر، دط،1998/ ص75

(3)- محمد التونجي:" دراسات في الأدب الجاهلي"/ص159

(4)- مالك بن نبي:" الظاهرة القرآنية"، دار الفكر،ط4 دمشق، 1987/ ص22.

• إيريش بروينلش: Erich Braunlich يعتمد إيريش بروينلش في رده على مدى أهمية الشعر الجاهلي في استشهادات علماء اللغة فيرد على مزاعم مرجليوث، وإن لم يذكر اسمه صراحة قائلاً الذي ادعى أن الشعر الجاهلي منحول وضعه الرواة بعد الإسلام، فإن كانت كل الأشعار الجاهلية منحولة، ولأنها صنعت في العصر الأموي، فإنه لم يكن مفهوماً لماذا فضَّل علماء اللغة الذين ازدهروا في هذا العصر أخذ شواهدهم من الشعر الجاهلي في تفسير القرآن على أخذها من الشعر الأموي؟ ! لأنه لن تكون لغة الشعر أقرب إلى القرآن من لغة الشعر الأموي، وكان لبروينلش أن يفهم طبيعة الشعر الجاهلي ويفهمه فهماً دقيقاً، واضحاً لو لا تجرده من العصبية الدينية والعرقية التي وقع فيها غيره[1].

4- الانتحال عند المحدثين: تلقى المثقفون العرب نظرية الانتحال ولهم سابق إطلاع من خلال إطلاعهم على كتاب "طبقات فحول الشعراء"، إلا أنهم تباينوا من حيث الكم والهدف، وقد لعبت الثقافة التي بثها المستشرقون دوراً كبيراً في التأثير على مواقف الدارسين العرب.

ومن بين الذين أثاروا ضجة في تاريخ الأدب العربي بلا منازع "طه حسين" من خلال كتابه "في الشعر الجاهلي" الذي ألفه عام 1926، ثم عدّله بعد عامين باسم جديد هو "في الأدب الجاهلي"، فهذا التعديل يدل على أن طه حسين قد تخلى بمحض إرادته عن كثير من الشكوك المؤكدة، لكنّه لم يتخل عنه شكه في الشعر الجاهلي خاصة والأدب عامة.

بنى طه حسين موقفه من الشعر الجاهلي متبعاً منهج الشك بل رفض كل ما أورده القدامى من الأدب سواء شعراً أو نثراً فيقول: "أريد أن أقول الشك، أريد ألا تقبل شيئاً مما قاله القدماء في الأدب وتاريخه إلّا بعد بحث وتثبيت، إن لم ينتهيان إلى اليقين فقد ينتهيان إلى الرجحان"[2].

فها هو كذلك يصرح بجرأة وعلانية عن نظريته التي تبناها في طرحه غير آبه لردود من حوله، حيث يقول: "فأول شيء أفاجئك به في هذا الحديث هو أنني شككت في قيمة الأدب الجاهلي، وألححت في الشك، أو قل ألح علي الشك فأخذت أبحث وأفكر وأقرأ وأتدبر حتى انتهى بي هذا كله إلى شيء إن لم يكن يقيناً فهو

---

(1) - المصدر نفسه/ ص22.

(2)- طه حسين:" في الشعر الجاهلي"،دار المدى ، طبعة خاصة، دمشق، 2001/ ص12.

قريب من اليقين، ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء وإنما هي منحولة بعد ظهور الإسلام"[1].

إذن فهو بهذا متمسك أشد التمسك بالمنهج الشكي الديكارتي الذي بني على جملة من القواعد أبرزها الوصول إلى اليقين، ومن سماته أيضاً أنه مؤقت وإرادي... وهذا ما يفسر لنا عدول طه حسين عن بعض ما جاء في كتابه "في الشعر الجاهلي". فمن الجلي أنه شديد الشك في كتابه الأول وهنا تبرز سمة مؤقت.. وبمحض إرادته تخلى عن شكوكه فأظهر لنا كتابه "في الأدب الجاهلي" وبهذا المنهج وجه ديكارت شكه نحو الشك في العديد من الأمور في المعارف الفلسفية والمسائل الرياضية وغيرها. "...أن ديكارت شك في المعرفة التي تلقاها عن أساتذته لأنها متضاربة ولا تقوم على أساس صحيح، ويشك فيما تقدمه لنا الحواس لأنه جربها فوجدها خدّاعة ويشك في جميع الأفكار التي تعرض لنا في اليقظة ...ويشك في الأدلة الرياضية التي كان يحسبها براهين صادقة[2].

إذن بهذا شك ديكارت في كل مسائل الحياة الوجود والقدم...اليقظة والحلم..الحقيقة والأوهام...لكن شكه هذا استحال حينما لم يستطع الشك في كيانه ووجوده كمفكر، "ا أفكر فأنا موجود هذه هي الحقيقة الثابتة الراسخة التي ظهرت لديكارت كالشمس"[3]، حقيقة لا مفر منها إذ لم يستطع نكرانها "فليضلني ما شاء فما هو يستطيع أبداً أن يجعلني لا شيء مادام يقع في حسابي أنني شيء".

إذن من خلال ما سبق يتضح لنا أن المنهج الديكارتي له مقومات فيها بحكم أن هذه الشكوك بين احتمالين اثنين، إمّا صحة أو خطأ. تلك إذن هي مقومات المنهج الديكارتي الذي انتهجه طه حسين في شكه في صحة الشعر الجاهلي، ولعلنا بهذا نرجع أسباب تمسكه بهذا المنهج أن الأديب طه حسين كان من الأوائل الذين تخرجوا على أيدي مدرسي معاهد غربية، ومن ثَمّ تأثر بآراء وأفكار الفيلسوف ديكارت. وظاهرة التأثير والتأثر قديمة هي لدى الشعراء والكتاب والمبدعين العرب، كما أنه كان دوماً ذو نظرة تتطلع إلى التجديد والتطور، ثائر على كل ما هو قديم، إذ يرى فيه قيود وجمود للعقل، فلا سبيل إلى ذلك إلا بكسر تلك القيود وتجاوزها.

---

(1)- طه حسين:"من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي"، دار العلم للملايين ،ط3،بيروت 1975/ ص29.

(2)- ربيع ميمون:"مشكلة الدور الديكارتي"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط1،الجزائر، 1982/ ص29.

(3)- المرجع السابق،الصفحة نفسها.

" أريد أن أقول بأنني سأسلك هذا النحو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة فيما يتناولون من العلم والفلسفة"[1].

إن تعطش طه حسين إلى إدراك حقيقة الأدب الجاهلي كان دأبه وغايته بل لكل باحث ومفكر وغاية وهدف يسعى إلى تحقيقها وبسطها ومعرفة اليقين فيها، إذن كان لابد "لطه حسين" أن يعرف هذه الحقيقة فاقتدى إلى نقد هذا الأدب البريء، إذ يسيطر على نقده شكوك ديكارت والحقيقة أن روح النقد والإثارة عن طريق التشكيك في القيم والمسلمات السائدة استولت على طه حسين وبدت معالمها فيما خط قلمه وبخاصة ما كتبه في مرحلة شبابه[2].

إذن لقد عمل طه حسين لحساب نشر المبادئ والنظريات المغالطة للشرقيين من خلال انتهاجه منهج الغربيين، و لم يعِ حقيقة هذه المناهج أو ربما تجاهل هدف أصحابها، ألا وهو كسر الجسر الذي يربط بين الأدب العربي الحديث وبين الأدب العربي القديم وبالتالي يخضع هذا الأدب الأصيل لمناهج ونظريات غربية التي طالما سعى الغرب إلى تحقيقها.

إنّنا بهذا نرى موقف طه حسين لا يوافق طبيعة منهج الدراسات العربية الإسلامية التي تهدف بطبيعة منهجها إلى العلمية والموضوعية والتخلي عن المذهبية التي تعوق مسار البحث العلمي، ومما لا ريب فيه أن منهج "طه حسين" الشكي أراد أن يثبت حقيقة لا مناص من ورائها هي الانتحال في الشعر الجاهلي. إنما هو منحول بعد ظهور الإسلام نحله الرواة والنحاة والقصص والمفسرون والمحدثون المتكلمون[3].

فلقد استفاد "طه حسين"من ما كتبه المستشرق مرجليوث في مقاله أصول الشعر العربي، والواضح جلياً مدى تأثره بهذا المنهج حيث حاول التأكيد على إفشاء النظرية المزعومة التي روجها له مرجليوث، وادعى خلالها أن الشعر الجاهلي وُضع أكثره بعد الإسلام وكان القصد من وراء ذلك تحطيم الدعائم التي كان يقوم عليها القرآن الكريم، وبالتالي هدم عدد من القيم والثوابت في الفكر الإسلامي والأدب العربي.

---

(1)- طه حسين:" من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، العصر الإسلامي" / ص85

(2)- بدوي أحمد طبانة:" سوانح وآراء في الأدب والأدباء"، ناشرون الشركة المصرية العالمية، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1997/ ص32.

(3)- يحي شامي:"من أعلام الفكر العربي طه حسين أديب وناقد"، دار الفكر العربي،ط1،بيروت، 1999/ ص56.

III. دوافع التشكيك لدى طه حسين حول قضية انتحال الشعر الجاهلي:

شك طه حسين في الشعر الجاهلي لأنّه لم يترجم الحياة لجاهلية ويرى أن أصدق مرجع للإطلاع على العصر الجاهلي هو القرآن الكريم وليس الشعر، "فإن أردت أن أدرس الحياة الجاهلية، فلست أسلك إليها طرق امرئ القيس والنابغة...وإنّما أسلك إليها طرقاً أخرى وأدرسها في النص، لا سبيل إلى الشك في صحته. أدرسها في القرآن، فالقرآن أصدق مرآة للعصر الجاهلي، ونص القرآن ثابت لا سبيل إلى الشك فيه"[1].

يضيف أنه من الناحية السياسية، فالقرآن عامة وفي سورة الروم خاصة، يوضّح العلاقات التي كانت بين الأمم ولا تستطيع أن تجد ذلك في الشعر.

يستشهد طه حسين على صحة نظريته بالعامل الاقتصادي، فلم يصور الشعر حياتهم المالية بينما يمثل لنا الذكر الحكيم العرب طائفتين: طائفة الأغنياء المستأثرين بالثروة، وطائفة الفقراء المعدمين، وليس في الشعر ما يصور ذلك كما يقول، إن فيه أن العرب جميعاً أجواد كرام على حين يلح القرآن الكريم في ذم البخل والبخلاء.

وكذلك جادل القرآن الكريم اليهود والنصارى والمجوس كما هاجم الوثنيين والوثنية وأطلعنا على دقائق معتقداتهم وبيَّن انحرافها، ولكن الشعر الجاهلي لم يعرض من الحياة الدينية شيئاً ذا بال[2]. ولقد عرض حياتهم القرآن الكريم، فوجده يمثلها مع جميع جوانبها تمثيلاً قوياً فهو يجادل اليهود والنصارى والمجوس، ويهاجمهم كما يهاجم الوثنيين ويطلعنا في تضاعيف ذلك على جملة معتقداتهم.

كانت دلائل "طه حسين" مبنية على مجموعة من القضايا التي يبنى عليها المجتمع كالاقتصاد والسياسة والحياة الدينية، ولأن لم تكن قصائد الشعر الجاهلي قد وفتها حقها من الطرح، فإن أبياتاً متفرقة على مستوى الشعر الجاهلي صّورت الحياة الدينية عند عرب الجاهلية. إلا نموذجاً ينفي ما ذهب إليه الدكتور في نظريته.

كما يرى طه حسين أن الانتحال تجاوز الأمم العربية ،فقد عرفت الآداب الغربية أشكالاً مختلفة من النحل، حملت ضروباً من الشك في منظومات الشعراء، وفي هذا الشأن يستدل بالانتحال الذي مس الكوميديا الإلهية لدانتي والإلياذة والأوديسا لهوميروس من حيث أن هذا الموروث الغربي قد تأثر بمؤثرات دينية وهذا التأثير مس بعض جوانبها.

---

(1)- طه حسين:"في الأدب الجاهلي "المجموعة الكاملة، النقد والأدب ، دار الكتاب اللبناني،ط5، بيروت،1973/ ص70.

(2)- طه حسين: "في الشعر الجاهلي"، دار المدى،طبعة خاصة ، دمشق، 2001/ ص132. بتصرف.

إضافة إلى ذلك نجد طه حسين يربط سبب انتحال الشعر بالسياسة التي عبر عنها بمصطلح العصبية القائمة آنذاك بين الأنصار وقريش والتي تركت سماتها في الشعر حيث يقول: "إن العصبية وما يتصل بها من منافع السياسة قد كانت من أهم الأسباب التي حملت العرب على نحل الشعر الجاهلي"[1].

ويضيف قائلاً أنه: "كان لهذه العصبية بينها وبين قريش والأنصار من التأثير في شعر الفريقين الذي قالوه في الإسلام وفي الشعر الذي نحله الفريقان شعرائهما في الجاهلية"[2].

كما نجده يعرض في كتابه "من تاريخ الأدب العربي" لعدد من المبررات التي دفعت به إلى القول بانتحال الشعر الجاهلي، فيقول: "إن النحل ليس مقصوراً على العرب"[3].

وقد خلص إلى نتيجة، مفادها أن هذه العصبية لن تقتصر على أهل مكة والمدينة، ولكنّها تجاوزت إلى كافة العرب بحكم الفتوحات التي عاشوها ،ويورد بذلك نماذج عن تعصب قبائل أخرى بل تعصب بعض القبائل بنفسها كما هو الشأن بالنسبة لقبيلتي مضر وربيعة.

ويؤكد طه حسين استناداً لابن سلام الجمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" أن العرب في جاهليتها، ويعني عرب قريش "وكانت أقل العرب قولاً فاضطرها ذلك إلى أن تكون أكثر العرب نحلاً للشعر في الإسلام"[4].

أن الصراع السياسي الذي ادعاه طه حسين موجود بوجود الإنسان فهذه ميزة لا ننكرها ولا يمكن اعتبارها مبرراً في نحل الشعر الجاهلي، لأن معظم أشعار الجاهليين كانت وليدة العصبية القبلية، وإن أخذنا بموقف طه حسين لن يبق للأدب الجاهلي وجود... وقوله أن الإسلام انجرت عنه خصومات بين الفرق الإسلامية والقبائل العربية قول باطل بحكم أن هذه الحروب والنزعات ناجمة عن فطرة وغريزة حب السيطرة والتملك فالإسلام لم يزد الطين بلة بل هدأ من حدتها.

هناك سبب آخر من الأسباب البارزة في نحل الشعر الجاهلي ألا وهو السبب الديني كونه مبرر هام في انتحال الشعر.

---

(1)- طه حسين:" في الأدب الجاهلي"، دار الهدى، طبعة خاصة،دمشق، 2001/ ص132. بتصرف.

(2)- المصدر نفسه/ ص129.

(3)- طه حسين: "من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، العصر الإسلامي"، دار العلم للملايين،ط2،بيروت/ ص85.

(4)- طه حسين:"في الأدب الجاهلي" / ص131.

لقد عرض الدكتور أسباب ودواعي جعلت العرب المسلمين ينحلون شعرهم عبر مختلف الأطوار الراشدي، الأموي والعباسي، وكان يقصد بهذا النَّحل إما بإثبات صحة النبوة وصدق النبي وما يتصل بذلك من تعظيم أسرة النبي ونسبه في قريش، وإما ما يمهد للبعثة من أخبار وأساطير موجهة إلى العامة لإقناعهم بأن كهان العرب وأحبار اليهود ورهبان النصارى كانوا ينتظرون بعثة نبي عربي يخرج من قريش، وكذلك بدافع إثبات صحة النبوة وإقرارها في نفوس العامة، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم ،بل يعرض علينا نوع آخر من الشعر المنحول لم يستند إلى الجاهليين العرب، وإنما تعداه إلى الجاهلين من عرب الجن حيث يقول: "وإنما كان بإزاء هذه الأمة الإنسية أمة أخرى من الجن، كانت تحيا حياة الأمة الإنسانية وتخضع له من مؤثرات"[1].

ويؤكد الدكتور طه حسين أن بطون قريش كانت تشجع شعراءها على نحل الشعر، إرضاء لاستقراطيتها القرشية على اختلافها، تنحل الأخبار والأشعار وتخزى القصاص وغير القصاص ينحلها[2].

ويضرب لنا مثالاً من أسرة مخزوم من قريش التي تجزم أنها كانت على حسب قوله: "مثالاً صادقاً وقوياً لحرص قريش على نحل الشعر"[3]، للاستشهاد على القرآن ومعاني ألفاظه واستقامتها.

ومّما جاء في كتاب الأغاني من الأشعار المنحولة قول أبي بكر عبد الرحمن بن هشام عن بني هشام:

ألا لله قـــــــوم و لـــد أخت بني سهـــــــم

هشـــــام وأبو عبـــــد منـــاف مدره الخصـــــــم

وذو الرحميـــــن أشبـــاك عـــلى القـــوة والحـــــزم

فهـــــــذان يـــــذوذان وذان كتـــــاب يرمـــــي[4]

لقد أوصى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن يدعي عبد العزيز هذه الأبيات المنسوبة لابن الزبعري وهو شاعر من قريش.

نلاحظ أن هذه الأبيات الشعرية تصب في غرض المدح، عرضها طه حسين لهذه الرواية بالتفصيل في كتابه "من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي" ومما قال فيها: فانظر عبد الرحمن بن حارث بن

---

(1) - المصدر نفسه /ص135.

(2)- المصدر السابق / ص136.

(3)- طه حسين:"في الأدب الجاهلي"/ ص133.

(4)- طه حسين: "من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، العصر الإسلامي"/ ص217.

هشام كيف أراد بصاحبه أن يكذب وينحل شعر حساناً ثم لا يكفيه هذا النحل...فيتفقان آخر الأمر على أن ينحل الشعر عبد الله بن الزبعري[1].

إن حكم طه حسين على الموضوع الديني ،مبرراً من مبررات انتحال الشعر، ذلك أن الكثرة المطلقة من الأبيات الشعرية مسّت النبي صلى الله عليه وسلم، في نسبه وبعثته، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم متزّه، فنبوته حقيقة سماوية لا يختلف فيها عاقل.

ويضيف طه حسين مبررات دفعته لهذا الحكم فيذكر الشعوبية، والتي لعبت هذه الأخيرة دوراً خطيراً في نحل الشعر عند طه حسين. فالفرس الذين استعربوا وصاروا ينطقون العربية بطلاقة وفصاحة اللّسان، شاركوا أبناء العرب في نظم الشعر بلا حتى في أمورهم السياسية انطلاقاً من خلفية الحقد والكره، لتحقيق أغراض الانتقام الدفينة أو المستورة في لب كل واحد منهم. فكان من هؤلاء الموالي شعراء يتعصبون للأحزاب العربية السياسية ويناضلون لها.

وقد نسب الموالي للعرب شعراً فيه مدح الفرس ،وفخر بهم وكأنها غاية من تذكير العرب بقدم الفرس، والافتخار بفارسيتهم هي تنبيه للعرب، فيقول طه حسين: "قد وصلنا إلى كل ما يكفينا من تأثير هذه الشعوبية فيكفي أن يحاول الشاعر من الموالي الافتخار على العرب ليفكر في أن يثبت أن العرب أنفسهم قبل أن يتيح لهم الإسلام هذا التغلّب يعترفون بفضل الفرس وتقدمهم في ذلك ويتقربون به إليهم يبتغون به المثوبة عندهم[2].

ومن الأبيات التي مجّدت الشعوبية قول إسماعيل ابن يسار مقتدراً بالفرس:

إني وجدك ما عودي بذي نور عند الحفاظ ولا حوض بمهـــدوم

أصلي كريم ومجدي لا يقاس به ولي لسان كحد السيف مسمـــوم

أحمي به مجد أقوام ذوي حسب بكل قوم بتاج الملك محمـــــوم[3]

إن هذه الأبيات تمجد الفرس، فهؤلاء الشعوبيين يكنّون حقداً للعرب، هدفهم الإشادة بأشعار وخطب الأعجميين وبالتالي ينقصون من قيمة الأشعار العربية.

---

(1)- المصدر نفسه/ ص150.

(2)- طه حسين:" في الأدب الجاهلية"/ص163.

(3)- طه حسين:" من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي"، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1979/ ص150.

هناك سبب آخر إضافة إلى الأسباب السالفة، وهو الروّاة بشقيهم العرب والموالي. فلقد لعب المجون والإسراف في اللهو والعبث والانصراف عن أصول الدين وقواعد الأخلاق كل ما يلغيه ويفرضه ميزان وصفات الأخلاق التي اشتهر بها الرواة دور فعال في نحل الشعر.

انتقلت إلينا هذه الرواية تحت تأثير هذه الأخلاق وفي ذلك يقول طه حسين: "ولعل أهم هذه المؤثرات التي عبثت بالأدب العربي وجعلت حظه من الهزل عظيماً مجون الشعراء وإسرافهم في اللهو والعبث..."[1].

إن اتصاف اشهر الروّاة بهذه الصفات أثر على الرواية وجعل الشعر يصل هزيلاً، فقد كان حماد الراوية رئيس مدرسة الكوفة، وخلف الأحمر زعيم أهل البصرة في الرواية ولكن لا أحد "يصفهم بخير ولا صلاح في الدين إضافة إلى شهرتهم بالفسق والزندقة، وهم مجمعون على أنهما يحفظان الشعر ويحسنان روايته، ليس غيره وأنهما كانا كذلك شاعرين مجدين يصلان من التقليد والمهارة فيه حيث لا يستطيع أحد أن يميز بين ما يرويان وما ينحلان[2].

وكالراويتين كثر الحديث عنهما فحماد الراوية قال فيه المفضل الضبي وهو خير من رواة الكوفة: "أنه قد أفسد الشعر إفساداً لا يصلح بعده أبداً".

في حين أن خلف الأحمر فكلام الناس في كذبه. "ويتحدثون أنه وضع لأهل الكوفة ما شاء الله أن يضع"[3]. وعليه فكان للراويتين أثر كبير في نحل الشعر.

لقد تعمق طه حسين في مبررات مختلفة تراوحت فيها نسبة الشك في الأدب الجاهلي، فالادعاء تارة والشك القطعي تارة أخرى. فجرأته جرّته إلى نتيجة عنده حتمية لا جدال فيها، إن كل الشعر الجاهلي منحول، ولا يمكن اعتبار الثقة بالقطع الكلي في الأمور و الإبداع، عامل من عوامل التحدي والإبداع، فهي سمة لا تليق بالبحث العلمي، حيث كان يجدر به أن يرجع في كثير من أحكامه برغبته حتى لا يتسرب الارتياب في فهمنا.

إذن أين نحن من المبررات التي قدمها ،طه حسين في شكه للشعر الجاهلي، فهو يلح على الزيادة التي مست الشعر وبين النقاد على قلة الأشعار التي وصلت إلينا؟

---

(1)- طه حسين:" في الأدب الجاهلي"/ ص168.

(2)- المصدر السابق/ ص169.

(3)- المصدر نفسه/ ص163.

إن هذه المبررات التي قدمه طه حسين حول قضية شكه في الشعر الجاهلي غير علمية. ف"طه حسين" قد انطلق من عدة فروض هي مجرد تخيل قائم على حدس، غير أنه لا يمكننا أن ننطلق من الفروض خاصة فيما يخص الدراسة الأدبية كدراسة الشعر الجاهلي، ومن هنا يبدأ تأثر طه حسين بالمستشرق البريطاني مرجليوث، حينما يتبنى منهج الشك الديكارتي.

ومن هنا نرى أنه إذا اقتدى (طه حسين). بمنهج العرب القدامى وطوّر منها لكان الأمر عليه هيّن أجدر من انحرافه وذوبانه تحت لهيب الافتراضات الديكارتية ونحن متفقين أنه لو اتبع مناهج القدامى في محاكمة الشعر الجاهلي لبرّأه من جملة الافتراءات والمغالطات والادعاءات الخطيرة.

وعليه كان طه حين أحد الشخصيات التي أُثير حولها جدل كبير، ومثّل انقلاباً عنيفاً بكتابه "في الشعر الجاهلي"، حيث أحدث ردود أفعال العديد من الأدباء والنقاد.

بعض الشعراء المشكوك في شعرهم عند طه حسين:

شك طه حسين في بعض الشعراء وحاول أن يقدم لشكه مبررات عقلية من حياة الشاعر أو شعره أو على اضطراب الرواة في رواياتهم. ومن الذين شك فيهم:

أ- **امرئ القيس**: لقد شك الدكتور في شعره استناداً إلى:

- تضارب الرواة في اسمه وكنيته وحياته ونسبه، ويعقب الدكتور على آراء الرواة في اسمه هذا الشاعر ونسبه بقوله: "...ولعل هذا وأشباهه من الخلط في حياة امرئ القيس أن يكن قد وجد حقاً، ونحن نرجع ذلك ونكاد نوقن به، فإن الناس لم يعرفوا عنه شيئاً إلا اسمه هذا أو طائفة من الأساطير والأحاديث تتصل بهذا الاسم"[1].

- كما يرى طه حسين قصة سفر امرئ القيس إلى القسطنطينية طلباً للعون للثأر لمقتل أبيه وطمعه في الملك وتنقله بين العرب ونهايته بالقتل غدراً هي قصة مختلقة، من قبل الرواة المدونين والقصاصين على منوال قصة عبد الرحمن الأشعث، وهذا ما دفع طه حسين إلى القول: "...أليس من اليسير أن نفترض بل بأن نرجع أن حياة امرئ القيس لما يتحدث بها الرواة ليست إلا لوناً من التمثيل لحياة عبد الرحمن استحدثه القصاص وإرضاءً لهوى الشعوب اليمنية في العراق واستعاروا له اسم "الملك الضليل" اتقاء لعمال بني أمية من ناحية، واستغلال لطائفة يسيرة من الأخبار كانت تعرف عن هذا الملك الضليل من ناحية أخرى"[2].

---

(1)- طه حسين:" في الأدب الجاهلي"/ ص196.

(2)- المصدر السابق/ ص146.

ب- **عبيد بن الأبرص**: شاعر آخر لمس من خلاله طه حسين ما لمس من امرئ القيس وهو عبيد بن الأبرص، يقول طه حسين عن هذا الشاعر: "فقد التمسنا سيرته، وما يضاف إليه من الشعر ما يعيننا على إثبات شخصية امرئ القيس، فكانت النتيجة محزنة جداً، ذلك أنها انتهت بنا إلى أن نقف من عبيد وشعره نفس الموقف الذي وقفناه من امرئ القيس وشعره"[1].

وقد شك الدكتور في عبيد على أن الرواة لم يحدثونا عن عبيد بشيء يقبل التصديق، "إنما عبيد عن الرواة والقصاص شخص من أصحاب الخوارق والكرامات كان صديقاً للجن والسماء معاً. عمّر عمراً طويلاً يصل به إلى ثلاثة قرون"، و لم يشك طه حسين في شخص عبيد فقط، وإنما شك كذلك في شعره فقال: أن شعر عبيد ليس أشد وضوحاً من شخصيته كاتبه، ويقول طه حسين: "أما شعره فليس أشد وضوحاً من شخصيته، فالرواة يحدثونا بأنه مضطرب ضائع"[2].

ويقول في شعره الذي عارض فيه امرئ القيس وهجا فيه كِنده، ودليل طه حسين في ذلك أن فيه سهولة وليونة وفيه ضعف وإسراف، كما جاء في كتابه "في الأدب الجاهلي" قوله: "أما شعره الآخر الذي عارض فيه امرئ القيس وهجا فيه كِنده فلاحظ له من صحة فيما تعتقده"[3].

ودليله في ذلك القصيدة التي مطلعها:

يـــا ذا المخوفنا بقت لأبيـــه إذلالاً وحينـــا

أزعمت انك قد قتل ت سراتنا كذباً ومنيباً

إنها من عمل القصاص وعن هذا الشعر وأشباهه إنما هو من أثر التنافس بين العصبية اليمنية والمصرية.

ج- **مهلهل بن ربيعة**: كما شك الدكتور طه حسين في المهلهل بن ربيعة لنفس الأسباب أو بعضها، وهي الأسباب التالية:

غموض شخصية المهلهل، واضطراب شعره، واختلاطه، ويقول: "في هذا الشعر اضطراباً واختلاطاً فزعمت أو زعم الرواة أنه لهذا الاضطراب والاختلاط سمي مهلهلاً، لأنه مهلهل الشعر والهلهلة الاضطراب وليس من شك في أن شعر المهلهل مضطرب في هلهلة واختلاط"[4]. وفي القصيدة التالية:

---

[1]- المصدر نفسه/ ص209.

[2]- المصدر نفسه/ ص209.

[3]- المصدر نفسه/ ص210.

[4]- المصدر السابق / ص216.

أليلتنا بذي حسم أينـــري إذا أنت انقضيت فلا تحوري

فإن بك بالذنائب طال ليلي فقد أبكي من الليل القصـــير

فلو نبش المقابر عن كليب لأخبر بالذنائـــب أي زيـــر[1]

وهنا يقول طه حسين: "أليس يقع من نفسك موقع الدهشة أن يستقيم وزن هذا الشعر، وتطرد قافيته وأن يلائم قواعد النحو وأساليب النظم، لا يشد في شيء لا يظهر عليه شيء من أعراض القدم أو مما يدل على أن صاحبه هو أول من قصد القصيدة وطول الشعر"[2].

(1)- المصدر نفسه/ ص173.

(2)- المصدر نفسه/ ص174.

IV. مناهج المستشرقين بين الإنصاف والمغالطة:

نستهل كلامنا بقوله تعالى: ﴿لِكُلٍ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾[1].

أن المتمعن في الآية الكريمة يقف أمام حقيقة لا مناص منها، حقيقة الأهمية العظمى التي تكتسيها المناهج في تدبر سيرورة حياة الأفراد والجماعات أو بالأحرى حقيقة الطريق الممنهج للإنسانية جمعاء ماضيها وحاضرها، ونظراً لتلك الأهمية التي تحتلها المناهج في حياتنا الخاصة لاسيما إذا تعلقت بعالم الأفكار والعلوم والآداب، فلابد أن نتساءل عن حظ الاستشراق من تلك المناهج؟وأين هي مناهج المستشرقين من الإنصاف والمغالطة؟... والتساؤلات عديدة تبقى رهن معرفة الأجوبة الدقيقة، والملاحظ أن جميع الدراسات سواء العلمية أو الإنسانية منها تستند إل مناهج معلومة ومحددة، وهذه الحقيقة متفق عليها لم تأت من عبث، وإن خرجت الدراسات عن هذه الحقيقة ترفض ولا تعتبر علمية، وما يؤكد كلامنا قول أحدهم: "إن المنهج في بحث أي مادة يجب أن يكون متفق بل ومنبثق من طبيعة المادة المدروسة"[2].

والشأن نفسه ينطبق على الدراسات الشرقية، فالمتتبع لمناهج الدراسات الاستشراقية يدرك السبل التي يتبعها المستشرقون في الدراسات العربية، وقبل هذا لابد من الإشارة إلى أن وجهات نظر العلماء والباحثين قد تباينت في تحديد مصطلح منهج Methode. إلا أنها لا تخرج عن تعريف محمد البشير المغلي يقول: "الخطوات العلمية ...التي يتبعها الباحث بدقة في استجلاء الحقائق"[3].

وإذا بحثنا عن كلمة منهج في القواميس:

أ- لغة: المنهج في اللغة من نهج ينهج نهجاً بمعنى طريق بين المعالم.

- أمّا في القاموس المحيط: المنهج الطريق الواضح، كالمنهج، المنهاج، وأنهج: وضّح وأوضح...ونهج الطريق: سلكه ...وفلان سبيل فلان، سلك سبيله[4].

---

(1)- سورة المائدة، الآية: 48.

(2)- محمد البشير المغلي:"مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب"، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،ط1 ،الرياض، 2002/ ص85

(3)- المرجع نفسه/ ص394.

(4)- الفيروز آبادي:"القاموس المحيط"، اعتنى به ورتبه وفصّله حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية،لبنان، 2004/ 1765، مادة "نهج".

- وفي الصحاح: نهج (النَّهْج) بوزن الفلس، والمنهج بوزن المذهب والمنهاج الطريق الواضح، ونهج الطريق أبانه وأوضحه ،ونهجه أيضاً سلكه[1].

إذن فالمنهج كما يتضح بإجماع اللغويين هو الطريق أو السبيل الواضح ويشمل المنهج والمنهاج ولها معنى مشترك واحد.

ب- **وفي الاصطلاح**: هو خطوات منظمة يتبعها اباحث في دراسة ظاهرة من الظواهر في مجال من مجالات العلوم.

وهو أيضاً السبيل المؤدي إلى معرفة الحقائق والظواهر العلمية بواسطة طائفة من القواعد العامة والتي توجه مسار العقل، وتحدد عملياته ليصل إلى نتيجة مرضية.

وبعبارة أوجز: هو القانون أو القاعدة التي تحكم أومحاولة للدراسة العلمية، ومن ثم تختلف المناهج باختلاف العلوم التي تبحث فيها، فلكل علم منهج يناسبه، مع وجود حد مشترك بين المناهج المختلفة، وقد تتعاون – وهو الغالب- مجموعة من المناهج لخدمة ومعالجة فن واحد.

المنهج عند بعض القدامى والمحدثين:

المناهج ليست وليدة اليوم، بل هي نتاج إرهاصات فلسفية أولية، يعود الفضل فيها للفلاسفة اليونانيين والمسلمين على حد سواء.

يقول لاسنون في كتابه "منهج البحوث في الأدب واللغة": "مناهج البحث إنما يتناولها عادة الفلاسفة، إذ يفردون لها في مؤلفاتهم باباً أو جزءً باسم Méthodologie (ميتودولوجيا).

وفيه يتناولون الأسس الفلسفية لكل منهج في كل علم، فالمنهج عند أفلاطون وأرسطو بمعنى البحث، ومجهوداتهم تلك تعتبر رائدة وإن خالطها بعض التعثر لكن. هل كانت مباحثهم تطبيقية علمية؟

في الحقيقة وإن تكن لتلك الأبحاث قيمتها إلا أنه في الغالب قيمة نظرية، وذلك لأن كاتبيها فلاسفة لم يتخصصوا في تلك العلوم المختلفة التي يتحدثون عن مناهجها...فإن كتاباتهم يمكن القول عنها بأنها ثقافة عقلية ورياضة للفكر أكثر منها قيادة عملية وتوجيها لخطى البحث.

لّما بزغ نجم الحضارة الإسلامية، واستوت على عودها، وأنار ضياء نجمها سنا العلم، أفرزت نقلة نوعية من العلماء والفلاسفة والمفكرين كانوا إلى العلمية أكثر من العقلية، وإلى العملية أكثر من النظرية، وبدت مناهجهم

---

(1)- أبي بكر الرازي:"مختار الصحاح"، ضبط وتخريج وتعليق مصطفى ديب البُغا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، عين ميلة، الجزائر، 1990/ ص429. مادة "نهج".

واضحة المعالم نذكر منهم: "العلّامة المتصوف أبو حامد الغزالي" والمؤرخ الرحّالة "ابن خلدون"، والفيلسوف المتطلع "ابن رشد"، واللغوي الشهير "عبد القاهر الجرجاني" وغيرهم ممن بلغ صيتهم الآفاق.

ثم توسع المصطلح بعد النهضة الأوروبية ليشمل الطريقة التي بفضلها يستطيع العالم أو الفيلسوف الوصول إلى هدفه. وجال في فلكه العديد من الفلاسفة ك"ديكارت "و"سبينوز" "وهيجل".

يقول ديكارت: "أنا أقصد بالمنهج قواعد مؤكدة بسيطة إذا رعاها الإنسان دقيقة كان في مأمن من أن يحسب صواباً أو خطأ"[1].

ويعرف المنهج اليوم على أنه: "الكشف عن الحقيقة في العلوم عن طريق قواعد عامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة محددة".

وهو أيضاً المسلك أو الطريق الواضح المعالم، في التعبير عن الشيء أو فعل الشيء أو تعليم الشيء طبقاً لمفاهيم ومبادئ وقواعد معينة تسير وفق نظام معين بهدف الوصول إلى تحقيق غاية منشودة.

فلا ضير في هذا التبيان مادامت جميع الآراء تتفق على المعنى السابق، وعن حقيقة مناهج الإنصاف نستفتح حديثنا بقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنَ أَوْلِيَاءِ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ﴾[2].

فكثيراً ما تتردد على مسامعنا عبارات تتعاطف مع عطاءات المستشرقين، فأحياناً تمجدها وأحياناً أخرى تبجلها، لاسيما إذا تعلق الأمر بمناهج منصفة فتارة نسمع (إننا نحترم عطاءات المستشرقين المنصفين). وتارة أخرى نسمع (إننا نعزز مناهج المستشرقين)، فأين هي مناهج الاستشراق من معايير الإنصاف؟

من بين المستشرقين العادلين المستشرق الألماني **يوهان رايسكه** y. Reiske (1716- 1774) الذي انتهج منهجاً علمياً توحي فيه المصداقية العلمية وتقصّي الحقائق بعيداً عن التعصب والافتراء والزور، بالإضافة إلى رجوعه إلى مصادر وقائع إسلامية، وفيه يقول البشير المغلي: "يوهان رايسكه ذلك العصامي الذي رفع ثمن تفانيه عن دراسة الأدب والتاريخ العربي...وقد اتهمه رجال اللّاهوت بالزندقة لموقفه الإيجابي مع الإسلام"[3].

---

(1)- مراد وهبة: "المعجم الفلسفي"، مطبوعات القاهرة،ط2، 1966/ ص231.

(2)- سورة هود، الآية: 113.

(3)- محمد البشير المغلي:"مناهج البحث في الإسلاميات" / ص394.

كما لا نستثني دور المستشرق الألماني **أوغست فيشر** August Ficher .صاحب مؤلف "المعجم اللغوي التاريخي"، نهج فيه المنهج التاريخي معتمداً فيه على المصادر التاريخية الدقيقة بالإضافة إلى تحليه بالنزاهة والشفافية في الكشف عن تاريخ الظاهرة اللغوية.

وعلى هذه الجملة فإنّنا نجد أعمال واجتهادات أولئك المستشرقين المنصفين إذ ليس مبتغانا الوقوف على الأعمال بقدر ما نهدف إلى تبيان علمية المناهج التي اتبعوها، وبحثنا لا يقتصر على إبراز المناهج المعتدلة فحسب، بل مسعانا كشف الجانب الخفي لأغوار مناهج المغالطين.

وأثناء بحثنا أدركنا خلفيات المستشرقين المجحفة بحيث اكتشفنا معنى المغالطة، فهي لا تخرج عن إطار التمجيد والإعجاب الزائف ،بخصال الشرق، ومن بين المستشرقين غير المنصفين نذكر على سبيل المثال لا الحصر جولد زيهر،هذا الاخير الذي نهج المنهج التاريخي في الكشف عن الجانب المادي للتاريخ العربي الإسلامي، وهو بهذا يتغاضى عن الجانب الروحي للإسلام، ولا نغفل مجموعة من المستشرقين المغالطين منهم مايسينيون، ونولدكه...هؤلاء الذين تناولوا الدراسات العربية الإسلامية بمناهج لا تخرج عن منهج التأثير والتأثر والمنهج التاريخي.

فخلال تتبعنا لمناهج المستشرقين أدركنا عدة حقائق خملت أذهاننا وأصابتنا بالذهول والإحباط لا لشيء، وإنما لإساءتها المتعمدة للفكر العربي، وخاصة عند انتهاجها منهج الشك الديكارتي،هذا المنهج الذي كثيرا ما يوصل إلى نتائج غير مرضية لا يتقبلها العقل الشرقي الصافي، من كل الشوائب والغزو الغربي.

نخلص إلى القول أن مناهج المستشرقين في معظمها دراسات ناقصة غير مستقرة كونها تعتمد على جزئيات من الدراسات، وتنحرف عن التعمق والشمولية. فهي مناهج قاصرة في إعطاء الحقائق الكاملة عن الدراسات الشرقية. نريد أن نقول كلمة حق عن حقيقة مناهج المستشرقين وكذا عن الطبيعة التعسفية للحركة الاستشراقية التي سعت بشتى المنهجيات والأساليب من أجل إضعاف قوة العرب والتقليل من شأنهم. غير أنّنا نقدر بالجملة عطاءات المستشرقين الذين تناولوا الدراسات الشرقية بكل موضوعية، ونزكي موقفهم ودورهم في البحث عن الحقيقة العلمية اتجاه التراث الشرقي من منطلقات ما تمليه عليهم الحقيقة العلمية ومنطق العقل فأعمالهم كانت أكثر إيجابية فبالنسبة لدراسات الشرقية حيث أعطت لها مكانة و تميّز منفرد في الدراسات العالمية ...لكن ما عسانا أن نقول عن الدور الذي لعبه أعمال هؤلاء المستشرقين في مد جسر التواصل.

لا يخفى على كل عاقل متبصر، أن هدف معظم المستشرقين الذين بذلوا جهداً في خلق ستار من التزييف والتعريف للتراث الشرقي، فكثيراً ما كانوا يخلقون الأكاذيب والأباطيل حول أدبنا الجاهلي، على الرغم من

محاولة فئة قليل منهم ارتداء ثوب البحث العلمي النزيه، إلا أنهم بطريقة أو بأخرى أشد وفاءً لغرضهم الأسمى، ألا وهو جلب أكبر عدد ممكن من أبناء أمتنا الشرقية إلى صفهم.

ويجدر بنا أن نجمل بعض من أهداف المستشرقين حول دراستهم للأدب العربي، على ضوء ذلك لابد من الإشارة إلى المحاولات الكثيرة التي كانت ترمي إليها الحركة الاستشراقية قد باءت بالفشل الشنيع، حيث سعى أولئك المستشرقون إلى التحامل على المجتمعات العربية بنشر النزهات والأكاذيب والأباطيل بغية تدمير الأخلاق الشرقية بالدرجة الأولى. ولعلّنا نكون مخطئين جداً حين نوفد البعثات العلمية بهدف التعليم والتعلم، إلّا أنّنا في الواقع نبعثهم إلى محاذر خطيرة هذه الحقيقة يؤكدها لنا أنور الجندي حين قال: "ولعل من أخطر التحديات التي تواجهنا في هذه المرحلة أن نرسل أبناءنا ليتعلموا اللغة العربية....في السربون وهارفارد...وكلّها معاقل الاستشراق...إننا نرسل أبناءنا لنسلمهم إلى مصير خطير"[1].

إنّنا نريد أن نبيّن مجموعة من الحقائق عن أعمال المستشرقين الذين حاولوا بكل وسائلهم إلى أبعد حد من حدود المغالطة بإثارة الشبهات حول الإسلام والطعن في قيمته وتشويه مبادئه، فكيف لنا أن ننكر حقيقة المستشرقين الذين تآمروا على تراثنا العربي، وعلينا أن نكشف هذه الحقائق وليس في ذلك ما ينقص من مكانتهم وهدفهم الحقيقي، فوجب علينا أن ننبه على تلك الحقائق المدسوسة.

إن ما أراده أولئك المستشرقون خلق جيل تابع لا متبوع لترويج مفترياتهم المسعورة على أدبنا العربي، ومن ثمة الخطر بدأ يدق نحو الشرق، ولمواجهته لابد أن تتحلى تعاليم الآية الكريمة ،قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتاً أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً ﴾[2].

ونعتقد أننا نكون منصفين إذا كنا لا نعمم الحكم كله على معظم المستشرقين، فكثيراً منهم قد اجتهدوا، فأخطئوا ومن الخطأ تعلموا الصواب، ولكن الذي نحكم عليه أولئك الذين قصدوا فعلاً نشر الشكوك والتمويهات على التراث الأدبي، وهذا ما كشفته لنا مؤلفاتهم الأدبية من بعد.

---

(1)- أنور الجندي:" المدّ الإسلامي"، دار بوسلمة للطباعة والنشر،تونس/ ص120.

(2)- سورة النساء، الآية: 71.

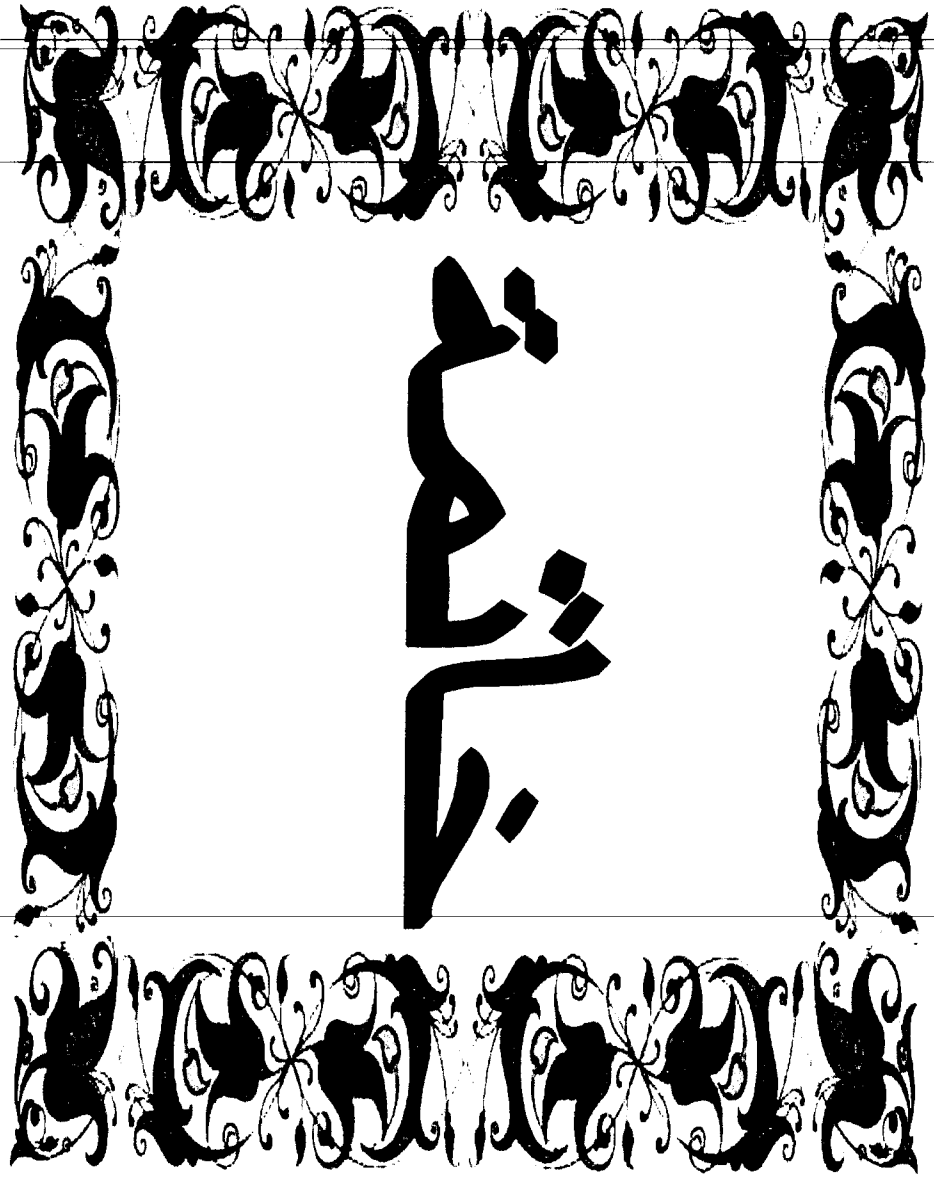

بعد تتبعنا لما جاء في فصول هذا البحث نصل على بركة الله تعالى إلى حقائق هامة. منها أن الحركة الاستشراقية لها ما لها، وعليها ما عليها فالمدرك لحقيقتها يعرف تمام المعرفة كيف يستفيد منها ويتغاضى عن سلبياته. ومما لا شك فيه أن الاستشراق منافع على أدبنا العربي حيث أخرجه من دائرة العزلة والإنطواء إلى الإنفتاح والتطور. فقد تصدى علماء الشرق لدعاوي الحركة الاستشراقية باستثناء أولئك الذين انحرفوا وراء هذه العواطف، لأن كل من ضلّ الطريق ذهبوا تحت ظلها...ولكن كل شيء يهون في سبيل تطور الأدب العربي ورقيه، لا يمكن أن ننكر فضل هذه الحركة الغربية على أدبنا العربي. إذ بواسطتها عرف هذا الأدب نهضة مبشرة بالخير ولولاها لما وجدنا من ينشر تراثنا هذا...ولربما كنا أخذنا منحى آخر لا يعلمه إلا الله تعالى وحده، أو ليس في كل صدمة استفاقة ودروس وعبر؟ أليس في الحياة أشواك؟ وأليس بعد الظلام نوراً؟ إنّنا نرى الحركة الاستشراقية بلغت مبتغاها في تعكير صفوا الدراسات الشرقية.

ولاشك أن الولوج في هذا البحث وكشف أغواره لمن الصعوبة، ومهما يكن شأن هذه الصعوبة فإنه لم يهدأ لنا بال، و لم يدحض عزيمتنا، بل جاء البحث لتقصي معرفة الحقيقة. ودراستنا كشفت لنا جملة من الحقائق منها:

أن الحركة الاستشراقية ليست وليدة اليوم، بل هي صراع ضارب في القدم –صراع بين الشرق والغرب– ولا يزال مستمر إلى اليوم وما صوّره القرآن الكريم بأدق التعبير في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

ومن هنا بات من المتعارف عليه أن الاستشراف من التيارات الساخنة التي تناولت الشرق ظاهراً وباطناً، كما نقدر مجهودات المستشرقين على الرغم من انتهاجهم لفلسفة الشك في الدراسات الشرقية، فدراستهم تلك كان لها دور كبير في صقل هذا الأدب العربي، ولا نرفض هذه الحركة بقدر ما نريد أن نفصح عن معالمها الخفية، وليس من حقنا أن نجاري مناهج المستشرقين بل واجب علينا أن نتفاداها وخاصة تلك المغالطة منها.

إن ما أردنا أن نعرفه بالفعل. هل كان للمستشرقين دراسات تشكر؟

---

[1]- سورة البقرة، الآية: 217.

"يذهب بعض النقاد المسلمون إلى أن المستشرقين حينما حققوا ونشروا الكتب ووضعوا المعجم المفهرس للألفاظ الجديدة. ومفتاح كنوز ألسنة لم يقصدوا بحال من الأحوال إلى إفادتها وخدمة علمنا ومع ذلك لا ننكر أنه أفادنا كثيراً من علمهم هذا، ولكنها إفادة بالإضافة إلى التبعية، و لم تكن مقصودة لذاتها. وإذا أردنا أن نشكر للمستشرقين هذه الجهود فعلينا أن نشكر للمستعمرين إصلاحهم وأعمالهم التعميرية التي قاموا بها في البلاد التي استعمروها كالهند مثلاً، وما أظن أن أحد يقول ذلك؟ فهي أعمال تمت من أجلهم وإفادتهم وإن كنا قد أصبنا منها خيرا، فلذلك أمر عرض على غير رغبتهم"

فالمستشرقون أولوا أهمية كبرى لتاريخ الأدب العربي حيث قاموا بجمع المخطوطات العربية الإسلامية وفهرستها، كما برعوا في ترجمة العديد من المؤلفات العربية إلى لغات أجنبية، و لم يكتف المستشرقون بالتنقيب عن هذا التراث العربي، بل حاولوا الكشف عن الحقائق التي كانت محطة نقد ودراسة، ولكنّنا لا نسلم بتلك الأعمال غير المنصفة التي جاء بها أولئك المستشرقون فهي مبنية على التعصب والإنكار، ومن المعروف عن الدراسات الاستشراقية أنها تريد السوء لتراثنا العربي مع أنها قدمت خدمة عظيمة في مجال التحقيق والنشر، فكانوا بحق روّاد هذا الصنيع ولا ننكر أيضاً النتائج التي توصل إليها المستشرقون فكانت في غاية من الدقة والعمق لو لم يتحدوا حدود الشك في الدراسات العربية والإسلامية، لذلك تميزت معظم أفكار المستشرقين بالنزعة التعصبية. كما لا ننسى إيديولوجياتهم الاستعمارية التي كانت وثيقة الصلة بالحركة الاستشراقية ...ولكن هل نرفض هذه الدراسات لأنها تسيء للإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم؟ وهل نستطيع أن نضرب صفحاً عما قدمه المستشرق الألماني كارل بروكلمان ونولديكه وغيرهما كثير؟ أم أننا نرفض هذا الفكر وما قدمه لنا من خدمة لتراثنا العربي أم نجمع بين المبدأين؟

وعليه فقد دعت الحركة الاستشراقية إلى توسيع الفجوة بين الإسلام والمسلمين، من خلال إلحاحهم بالشك في نزاهة القرآن الكريم، ونبالة الأنبياء خاصة حينما ينفون نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، ونخص بالذكر المستشرقين اليهوديين أمثال: "جولد سيهر" و "دافيد صموئيل مرجليوث" الحاقدين الناقمين، فامتازت دراستهما بالتعصب والكراهة اتجاه الأمة العربية والإسلامية، بانتهاجهما منهج الشك القطعي الذي كان سبيل الكراهية والعدوانية الضاربة في نفوسهما، إلا أن القرآن الكريم قد برأه الله عز وجل

من كل هذا، حين قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] . وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2].

كما أن الحركة الاستشراقية ولدت رعيل من المفكرين الشرقيين نهجوا منهج أساتذتهم المستشرقين، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، الأدباء العرب أمثال: "طه حسين" و "عباس محمود العقاد" وغيرهم كثير.

لقد كانت فعلاً هذه الحركة الاستشراقية في حقيقتها الأساسية هي تدمير الإسلام والمسلمين، وذلك بتحويل الفكر العربي الشرقي عن منبعه الصافي إلى منابع غربية معكّرة، فالحركة الاستشراقية إذن لها جذورها ولها أهدافها المدروسة تنتهج سياسة التدرج بالخطى قصد الوصل إلى مساعيها، كما أنها تمتلك إمكانيات وأساليب رادعة لضرب الشرق، والتي لا يظهر مفعولها علانية.

نعم إنّ هذه الحركة الفكرية الأدبية تمكنت من وضع الشرق وتراثه العظيم في كفها، وأوقعت للأسف الشديد كثير من الدراسات في مصيدة التشويه والتحريف والتزييف، كما أنّها سعت إلى زرع الفتن بين الأشقاء، وزرع سياسة "فرّق تسد"، التي اشتعلت نارها في حدب وصوب.

إنّ المستشرقين استطاعوا بذكائهم أن يصنعوا من تراثنا العربي مؤلفات وكتب، فعلينا أن نعرف كيف نستفيد منها على الرغم من إساءتهم لهذا الموروث الأصيل، فإذا كانت أخلاق المستشرقين سيئة ونواياهم فاسدة فلا يهمنا ذلك بقدر ما يهمنا العلم المكنوز في عقولهم، ومن ثمة ندرك كيف نتعامل معهم، ولكن هذا التعامل يصطحبه مجال يقظة وتبصر لمهاويهم.

ومهما يكن من أمر، فالمستشرقون سواء أساءوا أو أحسنوا فقد قدموا وما زالوا يقدمون للثقافة الشرقية الكثير و الكثير...خدماتهم واضحة في التأليف الفكري والأدبي، وفي نشر التراث العربي قديمه وحديثه، ومظاهر نشاطهم اتسعت ونشطت، وفي هذا المجال يقول لويس شيخو: "في عام 1787، أنشأ الفرنسيون جمعية

---

[1]- سورة الحجر، الآية: 9.

[2] - سورة البقرة، الآية: 23.

للمستشرقين ألحقوها بأخرى، عام 1820 وتم إصدار المجلة الأسيوية ...في لندن، تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام 1823"[1].

وإنه ليتضح لنا من بعد الدراسة المتواضعة التي قمنا بها، أن للإستشراق أثر بالغ على الأدب العربي لاسيما تعلق الكثير من أعلام وأبناء الفكر العربي بمناهج المستشرقين خاصة تأثر عميد الأدب العربي طه حسين بمنهج المستشرق البريطاني "دافيد صموئيل مرجليوث" في مسألة الشك في الشعر الجاهلي، إذ بإمكاننا الاستفادة من المبررات التي قدمها طه حسين في وضعه للشعر الجاهلي.

ولكن يمكننا أن نقدره حق التقدير إذا لم يتأثر بأفكار ومزاعم مرجليوث، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل ما إذا كانت نظرية طه حسين سرقة أو ملكية خاصة؟ كما أننا نتفق مع طه حسين حين قال: "ليس من الشك في أننا سنلتقي أصدقاء سواء اتفقنا في الرأي أو اختلفنا فيه، فما كان اختلاف الرأي في العلم سبب من أسباب البغض، إنما الأهواء والعواطف هي التي تنتهي بالناس إلى ما يفسد عليهم الحياة من البغض والعذاب"[2].

وعليه إننا نأمل أن نكون قد وفقنا في إيضاح مفاهيم حقائق وهذه الدراسة وهي المبتغى الذي قصدنا إليه.

---

[1]- لويس شيخو: "تاريخ الآداب العربية" منشورات دار المشرق ،ط3،بيروت، 1925، ج1/ ص595.

[2] – طه حسين: "المجموعة الكاملة"،دار الكتاب اللبناني، بيروت، ، 1982/ ص71.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

- القرآن الكريم (رواية ورش)

أ-

1- أبادي الفيروز، "القاموس المحيط" اعتنى به ورتبه وفصله حسان عبد المنعم، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004.

2- ابن منظور، "لسان العرب"، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، 1988.

3- ابن نبي مالك، "الظاهرة القرآنية"، دار الفكر، ط4، دمشق، 1987.

4- ابن نبي مالك، "إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، دار الإرشاد، بيروت، لبنان.

5- أبو عزم عبد الغني، "مع المستشرقين"، كلود كوهين وأندريه ميكيل، مقابلة أجراها أبو عزم، الشؤون العربية، فبراير 1982.

6- إدوارد سعيد، "الاستشراق"، المعرفة، السلطة، الإنشاء، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العلمية، ط4، لبنان، 1995.

7- أركون محمد وآخرون، "بين الاستشراق بين دعاته ومعارضيه"، إعداد هاشم صالح، دار الساقي، ط2، بيروت، 2000.

8- أرناؤوط محمد، "مراجعة الاستشراق"، ثنائية الذات الآخر، نموذج يوغوسلافيا، المدار الإسلامي، ط1، طرابلس، 2000.

9- الإسكندري أحمد وآخرون، "المفصل في تاريخ الأدب العربي"، مطبعة مصر، القاهرة، 1934.

10- إسماعيل علي محمد، "الاستشراق بين الحقيقة والخيال"، مدخل علمي لدراسة الاستشراق، دار الكلمة، منصورة، ط3، مصر.

11- الأنصاري عبد القدوس، "مجلة الأدب والعلوم الثقافية"، دار منهل، دط، دت.

ب-

1- بدوي عبد الرحمن، "دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي"، دار العلم للملاين، ط1، 1979.

2- بدوي عبد الرحمن، "موسوعة المستشرقين"، دار العلم للملايين، ط2، بيروت.

3- بدوي عبد الرحمن، "مناهج البحث العلمي"، دار النهضة العربية، دط، دت، مصر.

4- بروكلمان كارل، (موسوعة) " تاريخ الأدب العربي"، نقله إلى العربية عبد الحليم نجار، دار المعارف، ط4، القاهرة، ج2، 1977.

5- بلا شارل، "تاريخ اللغة والآداب العربية"، ترجمة رفيق بن الوتّام وصالح حيزم والطيب قشاش، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997.

6- البهي محمد، "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي"، دار الفكر، ط5، بيروت، 1970.

ت-

1- تونجي محمد، "الدراسات في الأدب الجاهلي"، حلب، مطبعة الشرق، 1980.

ج-

1- الجمحي بن سلام، "طبقات فحول الشعراء"، شرح محمد شاكر، دار المغربي، دط.

2- الجندي أنور، "في تاريخ الأدب الجاهلي"، مكتبة النصر، القاهرة.

3- الجندي أنور، "إطار إسلامي للفكر المعاصر"، دار المكتبة الإسلامية،ط2، لبنان، 1998.

4- الجندي أنور، "طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام"، دار أبو سلامة للطباعة والتوزيع، دط، تونس، دت.

5- جريشة علي محمد، ومحمد شريف زبير، "أساليب الغزو الفكر للعالم الإسلامي"، دار الاعتصام، القاهرة، 1979.

ح-

1- حسين طه، "مذكرات"، دار الآداب، ط2، بيروت، دت.

2- حسين طه، "الأيام"، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1984.

3- حسين طه، "في الأدب الجاهلي"، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1975.

4- حسين طه، "في الشعر الجاهلي"، دار المدار، طبعة خاصة، دمشق، 2001.

5- حسين طه، "من تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي والإسلامي"، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1975.

6- حسين طه، "المجموعة الكاملة للنقد والأدب"، دار الكتاب اللبناني، ط5، بيروت، 1973.

7- حسين عقيلة، "المرأة المسلة والفكر الاستشراقي"، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2004.

8- حميدان صالح عبد الحميد، "طبقات المستشرقين"، مكتبة مدبولي، دط، دت.

9- حمدي صبحي، "المجد في اللغة العربية المعاصرة"، دار المشرق، ط1، بيروت، 2000.

10- الحنفي حسين، "ماذا يعني علم الاستغراب"، دار الهدى، ط1، بيروت، 2000.

خ-

1- خالدي مصطفى وعمر فروخ، "التبشير الاستعماري في البلاد العربية"، المكتبة العصرية، صيدا، دط، 1985.

ر-

1- الرّازي أبي بكر، "مختار الصحاح"، ضبط وتخريج وتعريب مصطفي ديب البغى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، عين ميلة، الجزائر، 1990.

2- ريجيش بلاشير، "تاريخ الأدب العربي"،

ز-

1- الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس"، تحقيق علي بشيري، دار الفكر، دط، 1994.

2- زقزوق محمد حمدي، "الاستشراق والخلفية الفكرية"، دار المعارف، 1997.

3- الزيّات أحمد حسن، "تاريخ الأدب العربي"، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

س-

1- السباعي مصطفى، "الاستشراق والمستشرقون"، دار الورق للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1999.

2- ساسي الحاج سالم، "نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية"، دار المدار الإسلامي، ط1، بن فازي، ليبيا، يناير 2002، ج1.

3- سمايلوفيتش أحمد، "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، دار الفكر، دط، 1998.

4- السيد رضوان، "ثقافة الاستشراق ومصائره"، مجلة الفكر العربي.

ش-

1- الشرباصي أحمد، "التصوف عند المستشرقين"، مطبعة نور الأمل، سلسلة الثقافة الإسلامية، 1966.

2- شاكر محمد محمود، "أباطيل وأسافر"، مطبعة المدني، ط2، القاهرة، مصر، 1970.

3- الشامي يحي، "من أعلام الفكر العربي- طه حسين أديب وناقد"، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1995.

4-الشيخ أحمد، "من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب"، حوار الاستشراق، المركز العربي للدراسة، ط1، القاهرة، 1999.

5- شيخو لويس، "تاريخ الأدب العربي"، منشورات دار المشرق، ط3، بيروت، 1925.

ض-

1- ضيف شوقي، "تاريخ الأدب العربي"، دار المعارف، ط10، القاهرة، 1982.

ط-

1- طُبانة بدوي أحمد، "سوانح وآراء في الأدب والأدباء"، مكتبة لبنان للناشرون، الشركة المصرية العالمية، ط1، بيروت، 1997.

-ع

1- عبد الفتاح فاطمة، "إضاءات على الاستشراق الروسي"، إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2000.

2- عبده محمد، "الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، النشر الثاني، الجزائر، 1990.

3- العقيقي نجيب، "المستشرقون"، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1985، ج1.

4- علبي أحمد، "طه حسين رجل وفكر وعصر"، دار الآداب، دط، بيروت.

5- العناني علي، "المستشرقون والآداب العربية"، الهلال، أغسطس، 1932، ج1.

6- عيد رجاء، "التراث النقدي- نصوص ودراسات"، نشأة المعارف القاهرة.

7- علي صغير محمد حسين، "المستشرقون والدراسات القرآنية"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1982.

8- عمايرة إسماعيل أحمد، "المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية"، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، 2000.

غ-

1- غراب أحمد، "رؤية إسلامية للاستشراق"، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، دط.

ف-

1- فراج عفيف، "إشكالية النهضة"، دار الآداب، ط1، بيروت، 2006.

2- فروخ عمر، "المنهاج في الأدب العربي وتاريخه"، عصرية رمضان، ط2.

3- فروخ عمر، "الاستشراق بحث المستشرقين ما لهم وما عليهم"، سلسلة كتب الثقافة المقارنة، دت، بغداد.

4- فوك يوهان، "تاريخ الحركة الاستشراقية"، دار المدار الإسلامي، ط2، طرابلس، 2001.

ك-

1- كمال عباد محمد، "صفحات من تاريخ الاستشراق"، مجلة العلمي العربي، 1960، ج1.

م-

1- المرصفي سعد، "المستشرقون والسنة"، مكتبة المنار، الكويت مؤسسة الريان، بيروت، لبنان.

2- مصباح علي مصطفى، "من الأدب الحديث"، دار المريخ للنشر، الجزائر، 1984.

3- المغلي محمد البشير، "مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب"، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 2002.

4- موسى إسحاق، "الاستشراق- نشأته وتطوره وأهدافه"، مطبعة الأزهر القاهرة، 1967.

5- ميمون ربيع، "مشكلة الدور الديكارتي"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1982.

ن-

1- النجا شكري، "لماذا الاهتمام بالاستشراق"، مجلة الفكر العربي، 1983.

2- النعيم عبد الله محمد الأمين، "الاستشراق في السيرة النبوية"، دراسة تاريخية لآراء بروكلمان وفيلهاوزن، مقارنة بالرؤية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامية، ط1، الولايات المتحدة الأمريكية، 1997.

3- نملة علي إبراهيم، "الاستشراق في الأدبيات العربية"، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، دط، (1414هـ/ 1993م).

4- نملة علي إبراهيم، "الالتفاف على الاستشراق"، محاولة التنصل من المصطلح، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، دط، الرياض، 2007.

المخطوطات:

ـ محمد تاج، المنظور الاستشراقي في دراسة الأدب العربي المعاصر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تلمسان، 2007.

الفهرس

الفهرس العام

مقدمة.....أ

الفصل الأول: نشأة الحركة الاستشراقية.....01

I. التعريف بالحركة الاستشراقية.....03

أ- الاستشراق لغة.....04

ب- الاستشراق اصطلاحاً.....05

التعريف العربي للإستشراق:.....06

التعريف الغربي للإستشراق:.....12

II. مراحل الحركة الاستشراقية.....20

1/المرحلة الأولى: مرحلة التكوين:.....21

2/المرحلة الثانية : مرحلة التقدم.....22

3/المرحلة الثالثة : مرحلة انطلاقية.....23

III. دوافع الحركة الاستشراقية.....24

أ- الدافع الديني:.....25

ب- الدافع الاستعمار:.....27

ج- الدافع العلمي:.....28

د- الدافع التجاري:.....30

ه- الدافع السياسي:.....31

IV. مدارس الحركة الاستشراقية.....32

1. المدرسة الفرنسية:.....32

2. المدرسة الإنجليزية:.....37

3. المدرسة الروسية:.....44

4. المدرسة الهولندية:.....47

5. المدرسة الإسبانية:.....49

6. دول أوروبا الأخرى:.....52

الفصل الثاني: طه حسين وأثر مناهج المستشرقين في دراسة الشعر الجاهلي.....54
I. التعريف بطه حسين.....56
II. منهج طه حسين حول صحة الشعر الجاهلي.....64
1. تعريف الانتحال:.....67
2. الانتحال عند القدامى:.....68
3. الانتحال عند المستشرقين:.....70
4. الانتحال عند المحدثين:.....76
III. دوافع التشكيك لدى طه حسين حول صحة الشعر الجاهلي.....80
بعض الشعراء المشكوك في شعرهم عند طه حسين:.....86
IV. مناهج المستشرقين بين الإنصاف والمغالطة.....89
- تعريف المنهج.....90
أ- المنهج لغة.....90
ب- المنهج اصطلاحاً.....90
- المنهج عند بعض القدامى والمحدثين:.....91
خاتمة.....96
قائمة المصادر والمراجع.....87
الفهرس العام.....93